

## الفصل الثالث

### الحياة البشرية والإجتماعية

كان سكان كردستان الوسطى في العهد الدوستكي يتألفون من عناصر قومية هي: الكرد، الأرمن، السريان، العرب، اليهود والروم.

#### الكرد

كان الكرد هم العنصر السائد في كردستان الوسطى، وكان يعيش معهم أبناء القوميات الأخرى في أخوة وسلام. ورغم أنه لم تصل إلينا معلومات مفصلة وكافية عن القبائل الكردية العاشقة في نطاق الدولة الدوستكية، إلا أن أسماء بعضها قد وصلت إلينا منها قبيلة (حاربختي)، التي كانت تعيش في المنطقة الواقعة بين سعرد وهيزان أي في منطقة شيروان، وهي التي أسست الدولة الدوستكية. وقد ذكر الفارقي أن ياد بن دوستك ومروان أبا الأمراء كانا من هذه القبيلة، وأن مروان كان من قرية كرماس،<sup>(١)</sup> التي ما زالت حتى الآن موجودة بإسم (كورماس). أما إسم حاربختي فيظهر أنه مندثر. ويظهر من الإسم إنها طائفة من كرد (بختي) أي بهتان وهذا معروف حتى اليوم بين كرد بهتان وشيروان، مثل إسم (دنبلي بخت) الذي ورد في (الشرفنامه، ص ٤٠٠، طبعة القاهرة). ومنها أيضاً قبيلة (الجوبية)، التي لم تكن إلا قبيلة كبيرة ذات قوة استطاعت تأسيس إمارة لها في القسم الجنوبي من إقليم دياربكر كان مركزها قلعة (شاتان). ودام حكم تلك الإمارة حتى أوائل النصف الأخير من القرن السادس الهجري (القرن الثاني عشر الميلادي). وقد ورد ذكرها في عدد من المصادر التاريخية، ولكن دون أن تعطينا معلومات مفصلة عنها. ولكن في الإمكان الأخذ عن أصلاتها ونفوذها ومكانتها بين القبائل الكردية، ودورها في المجال الثقافي. ونستطيع بفضل المعلومات القليلة التي جمعناها من هنا وهناك أن نحیی إمارة كردية منسية ونضيفها الى قائمة الإمارات الكردية. فالإمارة الجوبية (الشوبيه)، هي إحدى الإمارات الموجودة ضمن الدولة الدوستكية، كالإمارة البشونية والإمارة البختية. ومن بين المؤرخين الذين أوردوا ذكراً لهذه القبيلة إبن الأثير الجزري حين قال: "الجوبي قبيلة من الأكراد نسبة الى جوب الكردي وهم قبيلة كثيرة الخلق"<sup>(٢)</sup>، وذكرها إبن

(١) الفارقي، ص ٤٩، ٥٩، ورد إسم حاربختي في تاريخ الفارقي المطبوع والذي حققه الدكتور بدوي عبداللطيف بالحاء المهملة وأورده بصيغة (چاربوختي - Charbokhti) المؤرخ Kirzioglu في كتابه (Kurorler / ص ٥٤)، وفسر الكلمة الكردية "چار" بالأربع تأكيداً على ضبط الإسم المذكور، علماً إنه اعتمد على مخطوطة تاريخ الفارقي. وفي صيف عام ١٩٧٧ سافرت الى تركيا وتجولت في معظم المناطق التي كانت ضمن الدولة الدوستكية وزرت قرية (كرماس)، التي ينحدر منها أبو الأمراء مروان بن كك (كهك) وشاهدت آثار الطاحونة التي كان يشغلها.

(٢) إبن الأثير، الباب في الأنساب، ج ١، ص ٢٤٧.

الصابوني أيضاً فقال: "الجوية قبيلة من الأكراد ويقال لها الشوية أيضاً". (٣) وقد سمع ذلك من صديقه العالم الجوبي أبي عمران موسى. وذكرها أيضاً ياقوت الحموي وسيأتي كلامه. كما ورد إسمها أيضاً بين أسماء عدد من القبائل الكردية في تعليق النسخة الخطية من كتاب (السلوك، ج ١، ص ٣٠) للمقرزي. أما أقدم من أتى بإسمها، فهو عماد الدين الاصبهاني والمؤرخ الكرديستاني أحمد بن يوسف الفارقي وكلاهما من القرن السادس الهجري (القرن الثاني عشر الميلادي).

أما المنطقة التي كانت تسكنها القبيلة وأسست فيها إمارتها الجوية، فكانت منطقة (شاتان). غير أن المؤرخين الذين أوردوا ذكراً لقلعة شاتان، مركز الإمارة لم يحددوا موقعها ومن هؤلاء: عماد الدين الاصبهاني، وابن الأثير، والحموي، وصفي الدين البغدادي، وابن خلكان، وجلال الدين السيوطي، وتاج الدين السبكي، والزركلي والباحث الكبير المرحوم الدكتور مصطفى جواد. فكل ما قاله هؤلاء الأعلام في تحديد موقع شاتان هو أنها قلعة بديار بكر أو بنواحيها (٤).

وهذا التحديد غير كاف، لاسيما إذا علمنا أن المؤرخين لا يقصدون بديار بكر ولاية بديار بكر الحالية، وإنما يقصدون إقليماً واسعاً لا تقل مساحته عن (٥٠) ألف كيلومتر مربع يشمل ولايات: بديار بكر، ماردين، سعرد (سيرت) وخرپوت وأجزاء أخرى. فلا ندري أهي منطقة (شوفان) في بوتان الواقعة خلف سلسلة طنزى (طانزه) التي تسكنها الآن عشيرة (شوفي - شوفان) وهي تابعة لقضاء (أروه) من ولاية سعرد مع التقارب بين إسمي (شوبي) و(شوفي)؟ ويُفهم من عبارة ابن حوقل في الصفحة (١٩٧) أن (شاتان) كانت مجاورة لطنزى وواقعة وراءها أو غربها، حيث قال: "وقردي هي الجزيرة المعروفة بإبن عمر وجبل باسورين ونواحيه الى باعيناثا الى طنزى الى شاتان...". ويلاحظ التسلسل الجغرافي من الجنوب الى الشمال في كلامه. أو هل إن قلعة شاتان كانت تقع في شرق دجلة في المنطقة الواقعة في غرب آقابوتان (نهر الرزم كما في المصادر القديمة) الى نهر غرزان (أرزن) أي المنطقة الواقعة في شمال دجلة؟ وتقع هذه المنطقة في شمال وشمال شرق حسنكيف (٥).

أما تاريخ تأسيس هذه الإمارة فغير معلوم، لأن كل ما نعلمه هو أنها كانت موجودة في العهد الدوستكي وعقد الدوستكيون معها علاقات المصاهرة. فقد ذكر الفارقي أن كلاً من الرئيس أبي عبدالله محمد بن موسك بن محمد بن كك وموسك بن منگلان بن آفشين قد تزوج بإمرأة جوية (٦).

أما الأمراء الجوبيون فلم يصل إلينا من المعلومات سوى القليل عن إثنين منهم فقط، هما الأمير

(٣) ابن الصابوني، تكملة إكمال الإكمال، ص ١٠٤.

(٤) الاصبهاني، خريدة القصر، ص ٥١٠. ياقوت الحموي، معجم البلدان مادة (شاتان)، ج ٣، ص ٣٠٤. صفي الدين البغدادي، مراصد الاطلاع، ج ٢، ص ٨٣. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٤، ص ٢٥١. السيوطي، لب اللباب في تحرير الأنساب، ص ١٤٧. السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج ٤، ص ١١٠. الزركلي، الأعلام، ج ٢، ص ٢٠٦. ابن الفوطي، مجمع الألقاب، ج ٤، القسم الأول، ص ٥٧٥. تعليق للدكتور مصطفى جواد.

(٥) بين لجنى وخطو قرية باسم (شاتح) على جبلها قلعة ودير قديمين باسم دبرا سبي و(ديرا شاتح)، وهي قرية من هتاخ وإسمها قريب من شاتان.

(٦) الفارقي، ص ٢٦٢-٢٦٣.

(أبو منصور حسين بن شبل) وإبنته الأمير (بهاء الدولة محمد). وكانا من ذوي العلم والفضل وكانا شاعرين. وقد أورد الإصهباني مقطوعات شعرية للأمير بهاء الدولة أفاده بها صديقه الشاعر الكردي الشهير علم الدين الشاتاني (٧).

كان للإمارة الجوبية دور في المجال الثقافي، حيث كانت ترعى العلماء وأصبحت شاتان في عهدها مركزاً للعلم. وقد نشأ منها علماء أفاضل منهم: علم الدين حسن بن سعيد بن عبدالله بن بندار (٨) وأخوه أبو إسحاق إبراهيم، الذي أصبح وزيراً لشاه أرمن بن سگمان في خلاط وكان من السلاجقة. أما نهاية الإمارة الجوبية فكانت على يد الأمير الأرتقي قره أرسلان، الذي جرد حملة قوية على شاتان واحتلها وخرّبها وذلك سنة (٥٥٦هـ = ١١٢١م). (٩)

### بشنوي (بهژنوی)

كانت القبيلة البشوية من القبائل الكردية القوية وتمكنت في تاريخ لا نستطيع تحديده من تأسيس إمارة قوية لها في بوتان (بهتان)، كان مركزها بلدة (فنك) في شمال الجزيرة وقلعتها الحصينة. وكانت هذه الإمارة تحكم القسم الشمالي منها وساهمت في تأسيس الدولة الدوستكية باعتبارها شدة أزر الأمير ياد بكل قواها، ولها تاريخ حافل ودامت الى القرن (٧ هجري = ١٢ ميلادي). وإمتدت بعد هذا القرن أيضاً الى أن تمكن أمراء بوتان من أسرة (آيزان) من بسط نفوذهم على (فنك) وبوتان بأجمعها، وشرّدوا البشويين الى منطقة حصن كيف (حسنكيف). وقد ذكر أخبارها الأمير شرفخان

(٧) الاصبهاني، خريدة القصر، ص ٥٤٥، قسم الأكراد الفضلاء. راجع أيضاً ص ٣٦١-٣٨٤ منه.

(٨) ولد علم الدين في شاتان سنة (٥١٠هـ). نشأ ودرس فيها ثم سافر في طلب العلم الى الموصل وبغداد ورجع الى شاتان وأقام فيها. ثم غادر الى الموصل ودمشق ومصر. كان علم الدين من كبار شعراء عصره وكان يقدره ملوك ووزراء مثل نورالدين زنكي وصلاح الدين الأيوبي والوزير ابن هبيرة وجمال الدين الاصبهاني. مدح نورالدين بقصيدة عزاء أولها:

ما نال شأوك في المعالي سنجر      كلا ولا كسرى ولا إسكندر

كما قصد صلاح الدين ومدحه بقصيدة رائعة أولها:

أرى النصر معقوداً برايتك الصفرا      فسر وأملك الدنيا فأنت له أحرى

وكان الشاتاني صديقاً حميماً لعمادالدين الاصبهاني وزوده بمعلومات كثيرة عن شعراء وأدباء كرد ومات بالموصل سنة (٥٧٩هـ).

(٩) تقطن قبيلة (شوقى - شوفان) منطقة بوتان شرقي (نهر الرزم - نالفا بوتان)، أي الفرع الشرقي لدجلة وخلف السلسلة الجبلية الواقعة خلف طانزه (طنزة) وسهل مشار. وتقع جنوب غرب مدينة دهه (نهره) ومنها (خدهلفن شوقى) أشهر قادة الأمير بدرخان الذي ما زال يُضرب به المثل في الشجاعة. كما أعتبر بعض المؤرخين (بهرام جويين - بهرام شويين) الذي ثار على كسرى وحتى قيل فيه أنه رستم الحقيقي شجاعاً - من هذه القبيلة الكردية. وكانت لبهرام أخت باسم (كرديه) كانت شجاعة أيضاً، وكانت زوجة كسرى مسترجلة. ومن قرى شوفان (ديراود) و(سبهندكا) وقد درست فيها على العالم الفاضل الملا عمر العيني، كما درس عليه والدي أيضاً والذي قتله الأتراك حوالي سنة ١٩٧٢. علماً أن شرفخان لم يذكر إسمها بين أسماء قبائل بوتان، وخاصة قبائل ذلك الجزء من بوتان وكانت إثنى عشرة قبيلة، ولكن ذكر منها (شيرويان). فمن المحتمل أنها شوفان وفي (شرفنامه) المخطوطة نسخة مكتبة بودليان التي بخط المؤلف ورد (شيرويان) أيضاً.

البديسي. (١٠) وفي الجزء الأول من كتابنا هذا ذكرنا معلومات عن هذه الإمارة وعن بوتان في مواضع متعددة، فلا حاجة بنا لإعادتها هنا. (١١)

يسمى الكُرد حالياً البشنية (بهژنۆیی)، والبشنية هي الصيغة العربية لها أي الواردة في المصادر العربية، مع إن حرفي (ژ) و(ش) متقاربان في الكُردية ويتبادلان مكانهما (١٢).

### بختي - بوهتي

كان المورخون حتى القرن (٧ الهجري = ١٣ الميلادي) يطلقون إسم بختي، أو الأكراد البختية، على الكُرد القاطنين في القسم الشرقي من منطقة بوتان. وكانت لهم إمارة مركزها قلعة (جردقيل)، أي گورگیل، الواقعة في وادي (گۆبان) شرقي الجودي. بينما كانوا يذكرون كُرد القسم الاخر من بوتان بالأكراد البشنية باعتبار أن القبيلة البشنية كانت هي الحاكمة على القبائل الأخرى في ذلك القسم.

وكانت الإمارة البختية من الإمارات القوية في الدولة الدوستكية، ووصلت إلينا معلومات عن أمير واحد من أمرائها هو الأمير موسك بن المجلي، الذي سجنه الأمير أبو الحرب سليمان بن نصرالدولة في الجزيرة وتوفي في السجن أو قُتل من قبله (١٣).

وكانت هذه الإمارة باقية حتى زمن المؤرخ ابن الأثير (المتوفي سنة ٦٣٠هـ). ويتضح مما ذكره القلقشندي أن الإمارة الهكارية قد استولت على الإمارة البختية، حيث كان أمير گورگیل في فترة من القرن (٨ الهجري = ١٤ الميلادي) هو بهاء الدين عمر بن إبراهيم الهكاري، وكان يُكتب من قبل دولة المماليك في مصر (١٤). وفي تاريخ لاحق تمكنت إمارة بوتان في الجزيرة من بسط سيطرتها على

(١٠) راجع (شرفنامه) ص ٢٠٨ طبعة القاهرة الفارسية.

(١١) راجع (شرفنامه) ص ٢٠٨ طبعة القاهرة الفارسية.

(١٢) في شرفنامه (بجنوي) بالجيم ولعله بجنوي ب(ج) الكُردية. وما زالت أسر من قبيلة (بهژنۆیی) في مواطنها الأصلية متفرقة بين قرى قبيلة (ولاتي) التي حلت محلها، وهي القرى الواقعة شرقي دجلة وفي سفوح وأودية السلسلة الواقعة في شرقه حتى قرية (هيتما) نفسها في سهل هاروتان جنوب (باسا). وكان عدد من تلك القرى عبارة عن كهوف. في سنة ١٩٧٧ لقيت بعضاً من البشنيين في قرية (خه ندهك - خندق) قبالة (فنك). وفي (هيتما) عدد من الأسر أيضاً. وفي الثامن من تموز من السنة المذكورة سافرت الى قرية (بانان) من قرى عشيرة (ولاتي)، المنسوبة الى (ولاتي فنك)، وكنت ضيفاً مع فقيده التراث الكُرد في كُردستان الشمالية الملا خلف البافهبي ومع الملا عثمان الفندي والمرحوم الملا أحمد بن فقه رسول بن محمد بن عرب الفندي إمام (بانان). فسألت رجال القرية عن البشنيين، فقالوا أن هذه القرية كانت لهم قديماً، وكانوا يسكنون آنذاك (گه ليوكان) عند منبع نهر (بانان) في شرق القرية وقد وجدنا هناك آثار دور. وأضافوا بأنه توجد لهم حالياً أملاك عندنا، وكان بعض من البشنيين يأتون من ماردين إلينا حتى السنوات القليلة الماضية، فهم الآن يسكنون حي (داشني) من مدينة ماردين التي كانت قريتهم، وقد دخلت الآن ضمن المدينة وسموها بإسمها القديم (داشني) إحدى بطون بهژنۆیی. بعد التشرذم سَمُوا القرى التي أقاموا فيها بماردين بنفس قراهم السابقة هنا، مثل قرية (عهوينا) و(بونسرا) والتفاصيل في كتابنا (گه شته كي نهركيولوجي دكورستانا باكوردا).

(١٣) راجع الجزء الأول من الدولة الدوستكية، الطبعة الأولى، ص ٢٢٧، ٢٣٠، ٣٠٩.

(١٤) القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٧، ص ٢٨٩.



قلعة فنك

گورگیل والأراضي التابعة لحدود هكاري (١٥).

أما قبيلة (كبيكان)، فكانت أيضاً موجودة في كُردستان الوسطى في العصر الدوستكي وقبله. وقد ذكرها المسعودي من بين القبائل الكُردية ولكنه لم يحدد مكانها. كما لم يرد ذكرها بين قبائل كُردستان الشرقية والجنوبية، التي ذكرها ابن خرداذبه والأصطخري وابن حوقل وابن البلخي والمقدسي (١٦).

ولهذا فنحن نرجح أنها كانت في كُردستان الوسطى وعلى الأغلب في منطقة ماردين، حيث أنها لم تنزل منذ زمن غير قليل فيها. ويقوم فرع منها الآن في السهل الواقع شمالي الموصل وفي أماكن أخرى

(١٥) في شرفنامه، ص ١٩١-١٩٦ بحث خاص عن إمارة گورگیل وهي فرع من إمارة الجزيرة، حيث ذكر المؤلف شرفخان أن أول من تولى إمارتها من أسرة أيزان هو الأمير حاجي بدر، ومن أبرز أمرائها الأمير سيد أحمد بن الأمير شمس الدين، الذي اشتهر بالشجاعة والإقدام. وقال إنه لما رجع سليمان القانوني من فتح بغداد سنة (٩٤١هـ = ١٥٣٤م) إستقبله المذكور فأناط به إمارة الموصل. ولكن أجد بأن ما قاله شرفخان بعيداً ومن المحتمل أن هذه الإمارة عاشت مع تضاؤل شأنها الى أوائل القرن التاسع عشر، ثم ألحقت بإمارة بوتان التي مركزها الجزيرة وانتقل بعض من سلالة أمراء گورگیل الى الموصل، وعائلة شريف باشا المعروفة حتى الآن في الموصل هي من سلالة گورگیل. وكان لأحفاده زيارات الى منطقة (گويان)، وفي الموصل مسجد باسمه أي باسم شريف باشا.

(١٦) المسعودي، التنبيه والإشراف، ص ٨٨. أورد في مؤلفه هذا أسماء قبائل أخرى لم يوردها في مروج الذهب وهي: جروغان، هذباني، جلالی، لر، بوذيكان، نشاورة، باذنجان وهذه الأخيرة هي ماذنجان، وكانت في منطقة بهدينان. بينما كانت باذنجان من القبائل الكُردية في إقليم فارس. وأوردها باسم باذنجان (بالزاء) الإصطخري في مسالك الممالك ص ١٤٥، وابن خرداذبه في المسالك والممالك ص ٤٧، والهمداني في مختصر كتاب البلدان ص ٢٠٣، وابن البلخي في فارسنامه ص ١٦٨، وذكرها خطأ ابن حوقل ص ٢٣٩ باسم ماذنجان.

من كُردستان وهي من قبائل ماردين القديمة.

وقد أورد ابن خلدون ذكر "الأكراد الحسنية" في حادثة حملة الأمير قريش العقيلي على البلاد الدوستكية، حيث ذكر أنه إستمال الكُرد البشنوية(١٧). ومن المحتمل أن تكون الحسنية إسم قبيلة كُردية كانت تقطن زاخو أو في شمالها، على أنه توجد الآن قبيلة كُردية بإسم حسنان (ههسنان). ومن المحتمل أيضاً أن القصد من الحسنية هم الكُرد المنسوبون الى مدينة (الحسنية)، أي زاخو أي كُرد زاخو وأطرافها(١٨).

ولاشك بأن قبيلة (دُنْبلي) كانت هي الأخرى في كُردستان الوسطى في أيام الدولة الدوستكية وقبلها. وقد أورد الفارقي ذكر عبدالرحمن بن أبي ورد الدنبلي، وقال إن (شبروه) إثر إغتياله للأمير ممد الدولة أوفده الي أبي القاسم الاصبهاني والى أرزن (غرزان) يدعوه الى تأييده(١٩). وهو ما يفيد بأنه كان شخصية بارزة. ومن المحتمل أن إسم "الدبابلة" الذي ذكره المسعودي بين أسماء القائل الكُردية هو تصحيف للدبابلة أو خطأ نشأ من قبل النساخ(٢٠). ولم يذكرها غيره من جغرافيين القرن العاشر الميلادي، علماً إن قسماً من الدنبلية تقطن ولاية دياربكر وأورفا. وقد ذكر الفيروز آبادي أن هذه القبيلة تقطن في منطقة جبل المقلوب في شرق الموصل(٢١). وكان فرع منها يقيم في بوتان وكان يزيدياً، ومنها أنتقل الى هكاري ثم الى منطقة (خوي) في غربي آذربيجان(٢٢) وإستقر فيها (الإمارة الدنبلية).

(١٧) إبن خلدون، العبر، ص٣١٩. راجع موضوع علاقات الدولة الدوستكية مع الدولة العقيلية.

(١٨) تقطن هذه القبيلة في غربي دجلة في منطقة زمار المتاخمة لمنطقة زاخو ودهوك. والمعروف أنها قدمت من (دهشتا ههسنان)، الواقعة غرب مدينة الجزيرة المنطقة التي لا زالت تحمل إسمها. وهي قبيلة قديمة أورد إسمها العمري في القرن (٨ الهجري = ١٤ الميلادي) في مسالك الأبصار.

(١٩) الفارقي، ص٩٣، ورد "الدبلي" بدل الدنبلي في إحدى نسخ الفارقي المخطوطة.

(٢٠) المسعودي، مروج الذهب، ج٢، ص١٢٢ وأضاف أن الدبابلة من الكُرد الذين نزلوا ببلاد الشام ولعله يقصد بذلك شمال سورية. وورد "ديابلة" بالياء في طبعة أخرى من مروج الذهب، وهي طبعة مطبوعة دار الرجاء. وأورد العمري ذكر الدنبلية في مسالك الأبصار. راجع أيضاً إبن الصابوني نكلمة إكمال الإكمال، ص١٠٥ تعليق للدكتور مصطفى جواد.

(٢١) الفيروز آبادي محمد بن يعقوب، الذي ذكر المؤرخ المرحوم الملا جميل الروزيباني في (ص١١) من كتابه (جوار دهوله تي كورد)، أن الفيروز آبادي من أبناء عشيرة شبانكاره الكُردية، ذكر الفيروز آبادي في قاموس المحيط، ج٣، ص٣٧٧ أن من القبيلة الدنبلية العالمين أحمد بن نصر وعلى بن أبي بكر بن سليمان. وكان الأول من علماء القرن الثاني عشر الميلادي، كما في طبقات الشافعية للسبكي، ج٤، (ص٥٧)، وتولى نيابة القضاء ببغداد عن القاضي الشهرزوري. وذكر إبن الفضل العمري أن القبيلة الدنبلية تقطن جبل مقلوب والمختار شرقي الموصل. راجع محمد أمين زكي، تاريخ الكُرد وكُردستان، (ص٣٦٨) تعليق للمرحوم محمد علي عوني الدنبلي. وفي سنجان الآن قسم من الدبابلة وهم يزيديون. وكانت هذه القبيلة الكبيرة يزيدية في غابر الزمن.

(٢٢) في شرفنامه، ص١٥٩، ١٩٩، ٤٠٨، أن الهجرة حدثت في القرن الخامس عشر. وفيه معلومات غير قليلة عن الإمارة الدنبلية في خوي، التي دامت الى القرن التاسع عشر. وألف في تاريخ هذه الإمارة ميرزا حسين الخويي كتابه المنظوم رياض الجنة في ثمانية مجلدات، وتوجد نسخة مخطوطة منه لدى بعض متولي مسجد (كوهرشاه) بمدينة مشهد الإيرانية. إهتم المؤرخ الكُرد المرحوم الأستاذ ملا جميل الروزيباني بتاريخ الإمارة الدنبلية، وأصدر في سنة (٢٠٠٠) كتابه (جوار دوله تي كورد) أي الدول الكُردية الأربع منها دولة الدبابلة في تبريز وأطرافها.

أخيراً، أن القبائل الكرديّة إنتشرت قبل العهد الدوستكي في إقليم دياربكر وشمالى سورية. وقد ذكر المسعودى الشام والثغور من بين المناطق التى كانت توجد فيها القبائل الكرديّة، وأشار الى وجود لهجات عديدة للغة الكرديّة في عهده (أى في القرن العاشر الميلادى الذى نشأت فيه الدولة الدوستكية) حيث قال: "ولكل نوع من الأكراد لغة لهم بالكرديّة" (٢٣). هذا ويجب أن لا ننسى أن العهد الدوستكي قد أتاح فرصة أكبر لتوسع الكرّد نحو الغرب، علماً أن الهجرة الكرديّة كانت غالباً متجهتاً من الشرق الى الغرب.

### السريان

إن وجود السريان في كردستان الوسطى أمر لا جدال فيه وتشهد عليه المصادر المسيحية والإسلامية على حد سواء. وكانت كشافه القومية السريانية تقع في منطقة ماردين ونصيبين وطورعبدین والسريانيون هم من أحفاد الآراميين القدماء.

### الأرمن

كان في كردستان الوسطى في العهد الدوستكي وقبله وبعده كذلك قسم غير قليل من الشعب الأرمني، ولاسيما في منطقة أرديش وخراب وبلدليس وملازگرد (منازگرد). وقد ذكر الرحالة الفارسي ناصر خسرو، الذى مر بالبلاد الدوستكية، أن سكان مدينة خراب يتكلمون بالفارسية والأرمنية والعربية (٢٤).

وعند البحث عن أرديش (أرجيش)، قال ياقوت الحموي بعد العهد الدوستكي بأكثر من قرن، إن أكثر أهلها أرمن نصارى (٢٥)، وكذلك قال صفي الدين البغدادي (٢٦). بينما قال القزويني بصدد خراب: أن سكانها مسلمون ونصارى وأنهم "يتكلمون بالعجمية والأرمنية والتركية" (٢٧)، وذلك في القرن الثالث عشر الميلادى. وقد إنتشر التركمان في خراب إثر إحتلال الدولة السلجوقية للبلاد الدولة الدوستكية. وكان في أورفا (الرها) كثير من الأرمن، ويرى رنسيما أنهم إستقروا فيها قبل مستهل العصر المسيحي (٢٨).

وبصدد ملازگرد قال ياقوت: "أن أهلها أرمن وروم" (٢٩). هذا علماً بأن وجود الأرمن في المدن

(٢٣) مروج الذهب، ج٢، ص١٢٢.

(٢٤) ناصر خسرو، سفرنامه، ص٤١. يساند قوله ما ذكره المقدسي من أن لهجة إقليم الرحاب قريبة من اللهجة الخراسانية علماً أن خراب إعتبرت ضمن هذا الإقليم.

(٢٥) الحموي، معجم البلدان، ج١، ص١٩٦.

(٢٦) البغدادي، مرصد الاطلاع، ج١، ص٤٣.

(٢٧) القزويني، آثار البلاد، ص٥٢٤.

(٢٨) رنسيما، الحروب الصليبية، ج٢، ص١٩٠.

(٢٩) معجم البلدان، ج٤، ص٤٥٨.

المذكورة في عهد الحموي والقزويني لم يكن طارئاً بعد العهد الدوستكي، بل كان قديماً سيما إذا علمنا أن قسماً غير قليل من الشعب الأرمني نزح من منطقة بحيرة (وان) في العهد الدوستكي إلى إقليم كبادوكيا في غربي الفرات، إثر تسليم الأمير سنكريم منطقة فاسبوركان المتاخمة للأراضي الدوستكية إلى الإمبراطورية البيزنطية، كما مر بالتفصيل في موضوع العلاقات مع الشعب الأرمني. ولأستبعد أن تكون نفوس الأرمن في المناطق المذكورة معادلة لنفوس الكُرد أو أكثر. ومن الجدير بالذكر أن الجغرافيين والمؤرخين في القرون الوسطى أدخلوا المناطق المذكورة ضمن أرمينية. وقد بالغ بعضهم فوسع حدودها إلى نهر دجلة، وهكذا إعتبروا قسماً غير قليل من البلاد الكُردية ضمن أرمينية القديمة. وكان الأرمن والكُرد يعيشون مختلطين في العديد من المناطق الكردية وفي أرمينيا.

## العرب

كانت في بلاد الدولة الدوستكية أقلية عربية. ويعود تاريخ وصولها إلى ما قبل العهد الدوستكي، ومن المحتمل جداً أن أسراً قد إستوطنت بعض المدن الواقعة في هذا الجزء من كُردستان من القرن الأول الهجري، أي إثر الفتح العربي الإسلامي. كما إستوطنت جاليات عربية في كثير من المدن الواقعة في الأقطار التي فتحها العرب، كإيران وأفغانستان وبلاد ما وراء النهر من بخارى وغيرها كما هو معلوم. لقد ساعد العهد الحمداني على إنتشار العرب في بعض مدن إقليم دياربكر، خاصة بعد أن إتخذ سيف الدولة الحمداني مدينة فارقين عاصمة له، وذلك إثر إحتلال الدولة البيزنطية لعاصمته حلب. فلا يُستبعد إذن إنتشار اللغة العربية فيها، وقد ذكر ناصر خسرو الذي مر بمدينة خلط في العهد الدوستكي أن اللغة العربية كانت إحدى اللغات الثلاثة المنتشرة فيها (٣٠).

لقد ذكر الفارقي أن طائفة من العرب إنهزمت أمام إبراهيم بن الأشر النخعي إلى ولاية ميفارقين. فأرسل لمحاربتهم عبدالله بن مساور، فإنهزموا أمامه إلى جبل السناسنة فوق ميفارقين، وقاموا عند الملك سنحاريب ملك السناسنة وهم طائفة من الأمويين. وقال الفارقي أيضاً "أخذت السناسنة مقدار ثلاثين قرية من غاب الجوز وماحوله داخل رأس السلسلة" (٣١)، وكانت تابعة لولاية فارقين في العهد الدوستكي، ولكنهم إستولوا عليها إثر سقوط الدولة الدوستكية.

والسلسلة التي ذكر أن تلك الطائفة من العرب فرّت إليها والتي كانت معقل إمارة السناسنة، إنما هي السلسلة الجبلية العالية الحصينة التي تقع بين موش في الشمال وبين مدينة ساسون في الجنوب. ويسمى القسم الشرقي منها بجبل موتكي وتقع ساسون وبلدة (حزو) في سفوحها الجنوبية. وهي جزء من (السلسلة) التي سماها بها الجغرافيون المسلمون، والتي تمر في شمال شرق وشرق ولاية دياربكر

(٣٠) ناصر خسرو، سفرنامه، ص ٤١.

(٣١) الفارقي، ص ٤٦. أضاف إن طائفة أخرى من العرب إنهزمت مع هذه الطائفة أي أمام العباسيين، وأنها وصلت إلى الدربند (داغستان) من قفقاسيا وأن الفارقي عندما سافر إلى هناك وجد أحفادها ودون الحديث الذي دار بينه وبينهم.

وتنتهي في شرق بدليس بالقرب من النهاية الغربية لبحيرة وان. وتقع في سفوح السلسلة وإمتداداتها الجنوبية مدن حزو وساسون وقلب (كولب) ولجى، وتقع في شمالها مدن موش وبنگول وگهنج. أما (غاب الجوز) فإنها كانت مدينة ساسون نفسها ومازالت تسمى بـ(غاب الجوز) أيضاً(٣٢).

والراجح أن إسم (ساسون) قد جاء من إسم (السناسنة)، وكان هناك أرمن الى أواخر العهد العثماني حينما تعرضوا للمذابح. ويؤيد الفارقي ما ورد في شرفنامه (ص ٣٤٠ و ٣٤٨) من أن طائفة من العرب هاجرت مع ثلاثة من أبناء (مروان الحمار)، آخر الخلفاء الأمويين، أي في القرن الثامن الميلادي الى منطقة (قلب)، وإستقرت في وادي (خوخ) التابع لناحية (غزالي)(٣٣).

هذا مع العلم بأن قضاء قلب التابع لولاية دياربكر يجاور قضاء ساسون من الشمال الغربي. وفي قضاء ساسون التابع لولاية سعرد أربع قبائل عربية حالياً. وقد وجدت بعضاً منهم في إستنبول في شتاء (١٩٩٥-١٩٩٦)، وهي قبيلة بلكان (بهلهكان) وشيگو وصارمي وبدرى، وهم يتكلمون العربية والكردية أيضاً. وهذه القبائل تماماً مثل القبائل الكردية تشارك في الحركة القومية الكردية. فقد شاركت تلك القبائل سابقاً في الثورة الكردية سنة (١٩٢٥) بقيادة الشيخ سعيد، ثم في (حركة ساسون) التي كانت إمتداداً للثورة المذكورة، حيث لم تستطع تركيا أن تقضي على المقاومة في منطقة ساسون الجبلية الوعرة وإستمرت حتى سنة (١٩٢٩). ومن ثم إستؤنفت من ١٩٣١-١٩٣٨ وكانت بقيادة محمد آغا بن (عهليي يونس). ثم قاد الثورة بعد وفاته أخو عبدالرحمن آغا الى أن إضطروا الى اللجوء الى سورية أثناء الإحتلال الفرنسي. وقد زودني المعمر حسين بن أحمد بن محمد آغا بن عهليي يونس، بتفاصيل هذه الحركة والمقاومة البطولية وما إرتكبتها القوات التركية من فظائع ضد سكان ساسون والتي كان يتذكرها.

أما السنة التي نزحت فيها هذه القبائل العربية فأرجحها أن تكون سنة سبع وستين من الهجرة، حيث قدم إبراهيم بن أشتر النخعي من الكوفة الى منطقة الموصل والجزيرة لقتال الأمويين وكان من أكبر قادة المختار الثقفي(٣٤).

فعلى هذا أن القبائل المذكورة نزحت من منطقة الجزيرة، التي كانت تشمل أيضاً منطقة الموصل. وأما ما قاله شرفخان في شرفنامه، فيحتمل أنها كانت جماعة أخرى من العرب أو أن تاريخ نزوحهم

(٣٢) في DUGO ANADULU ص٧٢ وكتاب خاص بجغرافية شرق أناضول: أن منطقة ساسون وموتكي هما مملكة غاب الجوز. في شتاء ١٩٩٥-١٩٩٦ عندما كنت في أستنبول تحدثت الى عدد من سكان ساسون وذكروا لي أنها تسمى أيضاً من قبلهم بغاب الجوز.

(٣٣) وفي ج٣، ص٣٧٥ من DIARBAKIR TARIHI لبسري كونييار: أنه يوجد قبر في منطقة باديكان من قولب في الجزء المسمى بالغزالي، يدعي السكان أنه قبر الإمام الغزالي الذي يقدرسونه. لا أعلم بحقيقة صاحب القبر كما أن الإمام الغزالي دفن في بغداد.

(٣٤) كان المختار قد ولي إبراهيم على الموصل والجزيرة وأرمينية وأذربيجان. وكان المختار يطالب بدم الحسين. ولما قُتل المختار في هذه السنة من قبل مصعب بن الزبير بن العوام، الذي أرسله أخوه عبدالله بن الزبير المستولي على الحجاز للإستيلاء على العراق، إنضم إبراهيم الى مصعب حيث قُتل الإثنان في المعركة الفاصلة بين مصعب وعبدالملك بن مروان في سنة إحدى وسبعين الهجرية، وكانا من خيرة أبطال العرب.

مع ثلاثة من أبناء مروان الحمار غير صحيح وأن النازحين كانوا من القبائل المذكورة. وما قاله الفارقي هو الصحيح.

سكن العرب في مدينة سعرد وأطرافها منذ عهد بعيد لا أستطيع أن أحده. وحسبما سمعته منهم فإن أجدادهم قدموا من لبنان، وليت شعري هل إنهم نزحوا الى هناك إثر سقوط الدولة الأموية أو أثناء الحروب الصليبية، وما زالوا في سعرد وأطرافها. ويحتمل أنهم شردوا الى سعرد مع القبائل العربية الأربع في ساسون إثر سقوط الدولة الدوستكية.

هذا ومع إن ما قاله شرفخان من وصول طائفة من العرب الى هذه المنطقة متفق مع قاله الفارقي، إلا أن تفاصيل ما ذكره شرفخان غير مقبولة عندي. والسبب لأنه إعتبر مثلاً بعض القبائل الكردية اليزيدية الخالصة في المنطقة المذكورة (منطقة سليقان)، أي منطقة فارقين من جملة العرب الذين حلوا هناك. وأضاف شرفخان أن الطوائف المذكورة أخذوا تلك المنطقة من الكرج والأرمن.

أما ياقوت الحموي فقد نص على أن نزوح العرب كان من قبائل من تنوخ وغيرها الى أرمينيا، وذلك بسب القتال الذي نشب بينهم وبين سكان حلب وبسبب عداوات أخرى، وكذلك أثناء فتننة الأمين بن هارون الرشيد (حسب تعبيره)، أي في القرن التاسع الميلادي وقال منهم قوم بأرمينية (٣٥).

وذكر أيضاً في مادة "باجنسيا": أنها ديار بني سليم (٣٦)، وذلك نقلاً عن مسعر بن مهلهل. وفي دائرة المعارف الإسلامية الجزء الأول الصفحة ٦٥٨: أن فرعاً من قبيلة قيس قد نزل في منطقة باجانوس. علماً أن باجنسيا - باجانوس هي باتنوس الحالية (٣٧). وفي نفس المصدر أن العرب قد تغلبوا وأصبحوا كثرة في المدن (الحواضر) من أرمينية، مثل دبيل (أي دوين الواقعة خلف نهر آراس) وقاليقلا (أي أرضروم) وبرذعة وآران وتفليس، واستوطنت القبائل العربية بنوع خاص "الجنوب الغربي من إقليم الزنيق أرزنان وذلك إبان الفتح الإسلامي" (٣٨).

لقد ذكرنا سابقاً بأن أرمينية عند الجغرافيين المؤرخين القدماء كانت تشتمل على قسم غير قليل من كردستان. ذكر اليعقوبي: أن سكان نصيبين في أواخر القرن التاسع الميلادي كانوا من عرب ربيعة من بني تغلب (٣٩). لقد حدث نزوح قبيلة بني نمير وبني عقيل الى منطقة حران والرها وسروج في القرن العاشر الميلادي. ونزح الى إقليم الجزيرة كذلك في نفس الفترة كثير من بطون قيس عيلام وبني قشير وبني كلاب، وذلك في عهد الجغرافي ابن حوقل (٤٠).

(٣٥) الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص ١٨٥.

(٣٦) نفس المصدر: مادة باجنسيا.

(٣٧) باتنوس هي الآن مركز قضاء تابع لولاية آغري التي مركزها مدينة (قهرهكۆسه) من كردستان تركيا، وتتبع هذا القضاء أربع نواح هي ناحية المركز ونواحي (دهدلى، وساريسو، وسلطان موت). ومجموع القرى التابعة لها ثمانون. أما نفوس مدينة باتنوس فيبلغ (٣٤٨٧) نسمة حسب الإحصائية التركية لسنة ١٩٦٠. وهي تبعد عن بحيرة وان بمسافة حوالي (٦٠) كلم من الجهة الشمالية، كما إنها تقع في شرق ملازگر (منازگرد) بحوالي (٥٠) كلم.

(٣٨) دائرة المعارف الإسلامية، ج ١، ص ٨٥٨.

(٣٩) اليعقوبي أحمد بن واضح، كتاب البلدان، ص ١١٣.

(٤٠) ابن حوقل، ص ٢٠٤، ٢٢٧.

والجدير بالذكر أن سكان مدينة سعرد وعدد من القرى في أطرافها كقرية تلوة الكبيرة يتحدثون باللغة العربية، كما يتكلم بها قسم من سكان بعض القصبات في ولاية ماردين، وأخص بالذكر (كهرجوس) إضافة إلى بعض من سكان ماردين نفسها، حيث كان العرب قد إنتشروا فيها. في الوقت الذي يحتمل أن يكون قسم كبير من هؤلاء من أصل عربي، هاجر أجدادهم في فترة أو فترات (إلى هذا الجزء من كُردستان)، فإن هناك احتمالاً لأن يكون بعضهم كُرداً إنتشرت اللغة العربية بينهم تحت تأثير الدين. فمن الثابت تاريخياً أن اللغة العربية إنتشرت في العديد من المدن والقصبات الكُردية، كما إنتشرت في إيران وغيرها من البلدان الإسلامية في القرون الإسلامية الأولى. ونذكر على سبيل المثال مدينة أربيل التي إنتشرت العربية فيها وأخذ سكانها يتكلمون بها في عهد ياقوت الحموي، أي إلى العقد الثالث من القرن الثالث عشر. فقد قال ياقوت عند البحث عن أربيل "... وأكثر أهلها أكراد قد أستعربوا وجميع ساكنيها وفلاحيها وما يُضاف إليها أكراد" (٤١). وهكذا نعلم بأن اللغة العربية قد إنتشرت بين سكان بعض المدن الكُردية من الكُرد المسلمين الذين فضلوا لغة الدين على لغتهم القومية، مثلما إنتشرت السريانية لغة الكنيسة الشرقية بين الكُرد المسيحيين وبين المسيحيين من غير السريانيين (الآراميين) في جنسياتهم.

ويجب أن لانستغرب مما ذكرنا إذا علمنا مدى إنتشار اللغة العربية في الأقطار الإسلامية إلى درجة إستعربت بعضها كلياً وتعد الآن من البلاد العربية مثل مصر وليبيا وتونس والجزائر والمغرب. فاللغة العربية كانت هي اللغة السائدة والمتداولة في المدن الكبيرة في شتى أو معظم البلدان الإسلامية حتى زمن العلامة ابن خلدون، أي حتى أوائل القرن التاسع الهجري (القرن الخامس عشر الميلادي)، الذي قال مستعرضاً ومعللاً لذلك الإنتشار: "... كانت لغة الأمصار الإسلامية كلها بالمشرق والمغرب لهذا العهد عربية... والسبب في ذلك ما وقع للدولة الإسلامية من الغلب على الأمم... والدين إنما يستفاد من الشريعة وهي بلسان العرب... فلما هجر الدين اللغات الأعجمية وكان لسان القائمين بالدولة الإسلامية عربياً هجرت كلها في جميع ممالكها لأن الناس تتبع السلطان... وهجر الأمم لغاتهم وألستهم في جميع الأمصار والممالك، وصار اللسان العربي لسانهم حتى رسخ ذلك لغةً في جميع أمصارهم ومدنهم وصارت الألسنة العجمية (أي غير العربية) دخيلة فيها وغريبة" (٤٢).

وأضاف ابن خلدون أنه بعد الغزو المغولي والتتري للبلاد الإسلامية الشرقية فسدت اللغة العربية (المضربة الفصحى) وضعفت حتى إن الكتب كانت تؤلّف بغير اللغة العربية.

والحاصل أن سقوط الدولة العباسية كان ضربة عنيفة سببت تقلص اللغة العربية وإنحسارها في كُردستان وإيران وبلاد السند وغيرها حتى لم يبق لها سوى أثر قليل. وعلى ضوء هذه الحقيقة إنتشرت اللغة العربية في بعض مناطق كُردستان، ثم إنحسرت عنها كمدينة خلاط التي كان بعض

(٤١) الحموي، ج ١، ص ١٨٧.

(٤٢) مقدمة ابن خلدون، ص ٣٧٩-٣٨٠ تحدث عن إنتشار اللغة العربية في أذربيجان وأرمينية كل من الإصطخري وابن حوقل. راجع على الترتيب مسالك الممالك، ص ١٩٢. وصورة الأرض، ص ٢٩٩.

سكانها يتكلمون العربية في العهد الدوستكي كما ذكرنا، ولكنها انحسرت عنها. فلم يذكر القزويني لها أثراً فيها بينما ذكر أن اللغة التركمانية كانت مستعملة فيها في القرن الثالث عشر الميلادي، كما لا توجد فيها الآن غير اللغة الكردية.

## اليهود

كانت في الدولة الدوستكية جاليات أقلية يهودية تقيم في المدن، وكانت في العاصمة فارقين محلة بإسم (زقاق اليهود) تقع في النصف الغربي منها وفي غرب (سوق القبة). وكان كنيس اليهود في هذه المحلة وكانت فيها أيضاً البيعة الكبرى للمسيحيين (٤٣).

والجدير بالذكر أنه بعد سقوط الدولة الدوستكية بأقل من قرن زار الرحالة اليهودي الأندلسي بنيامين مدينة نصيبين وقال: إن فيها نحو ألفي يهودي (٤٤). أما الجزيرة فإنه وإن لم يزرها، ولكنه قال أن فيها (٤) آلاف يهودي. وكنا قد ذكرنا في الجزء الأول من الدولة الدوستكية في الصفحة ٣٣٥، بأن آخر الملوك الدوستكيين قد سُجن في دار أحد اليهود في الجزيرة وتوفي فيها سنة (١٠٩٦م). ومن المحتمل جداً أن اليهود في العهد الدوستكي كانوا يقيمون في المحلة المعروفة الآن بإسم "مهحلا جوهيا" الواقعة في الجزء الشرقي من الجزيرة وفي يسار السوق. وكان يسكنها يهود إلى أن هاجروا إلى فلسطين.

ذكر بنيامين أيضاً أن في رأس العين نحو ألفي يهودي، أما في العمادية فنحو (٢٥) ألف يهودي، وهم جماعات منتشرة في أكثر من مائة موقع إلى خفتيان وتخوم مادي ويتفاهمون بلسان الترجوم (٤٥)، أي السريانية الشرقية.

لقد ذكرنا رأس العين والعمادية هنا لأنهما كانتا ضمن الدولة الدوستكية في أوج توسعها على أقل تقدير ووصول نفوذها اليهما بعد ذلك، كما ذكرنا في الجزء الأول (ص ٢٢ و ٢٥). والخلاصة أن عدد اليهود في الجزيرة ونصيبين وكذلك في رأس العين والعمادية في العهد الدوستكي لم يكن أقل من العدد الذي ذكره بنيامين حسب التخمين. أما أصل هؤلاء اليهود، فهم أخلاف اليهود الذين أجلاهم الآشوريون إلى كُردستان في القرن الثامن قبل الميلاد، حينما غزا الملك الآشوري (تجلات بلاصر) مملكة إسرائيل في فلسطين وإحتلتها عام (٧٣١ ق.م). فقد أجلى الملك الآشوري المذكور عدداً كبيراً من اليهود إلى (كُردستان الجنوبية) كُردستان العراق. وفي عام (٧٢٢ ق.م) قضى الآشوريون نهائياً على مملكة إسرائيل وشردوا قسماً آخر من اليهود إلى كُردستان (إلى منطقة حران وخابور وجبال ميديا). ثم غزا نبوخذ نصر مملكة اليهود مرتين في سنتي ٥٩٧ و ٥٨٦ قبل الميلاد وأسر الكثير من (٤٣) الفارقي، ص ١٦٥. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٤، ص ٧٠٥. القزويني، آثار البلاد، ص ٥٦٥. راجع الجزء الأول من الدولة الدوستكية ص ٧٩.

(٤٤) رحلة بنيامين، ص ١٢٥.

(٤٤) الدولة الدوستكية، ص ٧٩.

(٤٥) رحلة بنيامين، ص ١٢٦، ١٥٤.

اليهود ونقلهم الى منطقة بابل حسبما ورد في (ص ٩٠١ من مفصل العرب واليهود في فلسطين للدكتور أحمد سوسة، الذي كان يهودي الأصل وله زوجة كُردية من عشيرة ساله بي "صالحى").

ظل اليهود منتشرين في كُردستان وقلما وجدت مدينة أو قسبة كُردية تخلو منهم، بينما كانت قلة منهم في بعض القرى أيضاً. ولا أستبعد شخصياً قيام بعض الكُرد بإعتناق الديانة اليهودية، وخاصة في الجبال الواقعة بين كرمانشاه وزهاو وشهرزور. وظل اليهود في كُردستان الى أن نُقلوا الى فلسطين خاصة سنة ١٩٤٨. كان اليهود بصورة عامة يشتغلون بالتجارة والصناعات بعيدين عن الحيلة والغش في معاملاتهم والصناعات التي يعملونها.\*

\* في نفس كتاب أحمد سوسة في الصفحات (٥٩٣-٦٠٣) بحث عن اليهود في كُردستان يقول فيه أن (اليهود الكُرد) كانوا يتكلمون بلغتهم وهي اللهجة الآرامية الغربية القديمة لغتهم الأصلية ويتكلمون اللغة الكُردية أيضاً. وقد ذكر أيضاً أن قسماً من يهود كُردستان إعتنقوا المسيحية وإعتقد المبشر الأمريكي الطبيب غرانت الذي سكن بين النساطرة، أي الآثوريين المسيحيين عدة سنوات وألف كتاباً بالإنكليزية بعنوان "النساطرة أو الأسباط المفقودة" الآثوريين من اليهود، أي القبائل العشرة (الأسباط العشرة) التي شردها الآثوريون الى كُردستان وكذلك الإيزيديين. وفي زيارة لي لأحمد سوسة في داره ببغداد أبدى لي رأيه هذا وقال: إن إسم (آثوري) حديث أحدث من قبل الإنكليز والفرنسيين. فقلت إن ذلك غير صحيح بدليل أن إسم (أسوري) قد جاء مراراً في (شرفنامه). وطلب مني معلومات عن الآثوريين واليهود ليستفيد منها في كتابه هذا الذي كان يؤلفه. فقلت: إن أول من دخل المسيحية من سكان أربيل، ثم أصبح أول أسقف لها كان يهودياً يدعى (بقيدا). فسُرُّ الدكتور أحمد سوسة بذلك وكتب إسمه لديه لكي يعقب الموضوع، ثم عقبه كما يتضح من هامش (ص ٦٠٠). وفي نفس الصفحة قال أن اليهود الذين كانوا يؤمنون بالمسيحية يُطلق عليهم إسم (مين - Min) من قبل اليهود. وقد ذكرني هذا أن اللفظ مستعمل حالياً بين الكُرد (في اللهجة الكرمانجية الشمالية) حيث يطلق الكُرد لفظ (مسلمين/ مسلميني) على اليهود والمسيحيين الذين دخلوا الإسلام. فالكلمة إذن مخفف من (مسلم مين). وأعتبر أحمد سوسة من حيث الديانة لا القومية (دولة أديابين) إمارة يهودية وكانت عاصمتها مدينة أربيل. وكانت دولة أديابين تابعة للدولة الأشكانية وشملت كُردستان الجنوبية حتى (الفرات) في أوج توسعها. وقال إن «إيزاط» الأول من أمراء أديابين «حدياب» كان يهودياً وإعتلى عرش الإمارة سنة (٣٦ م)، وإعتنق اليهودية في صباه كما إعتنقت أمه «هيلانة» اليهودية. وكانت أمه قد تزوجت من أخيها «مونوباسس»، فولدت من أخيها «إيزاط الأول»، وكان حاكم الإمارة الأول «مونوباسس» وتنبأ. والظاهر أن الوثنيين كانوا يحللون الزواج من الأخت. وحسب إعتقادي فقد كان أرامياً وتنبأ وإن سكان إقليم حدياب (أي منطقة أربيل) من الأراميين لغةً وجنساً. وقال إشتهرت «هيلانة» عندما جلبت القمح من مصر ووزعته على سكان أورشليم أثناء المجاعة. وقد أيدت هذه الإمارة ثورة اليهود ضد الرومان سنة (٦٦ و ٧٠ م). هذا وإن صح أن إيزاط كان من حيث الديانة يهودياً، فإن بعضاً من ملوك أديابين من هذه الأسرة قد إعتنقوا المسيحية ومنهم «رقبخت».

أما الوثنية التي ذكرها سوسة ناقلاً عن المصادر الكنسية، فإنها (الزردشتية) التي كثيراً ما إستخدمت لفظ (الوثنية). فكانت (الزردشتية) توصف بعبادة (الشياطين). أما سكان أربيل آنذاك فكانت أكثريةهم من الكُرد أو نقول من العنصر الآري. وفي (الآثوريون في التاريخ، ص ١٠٤) لمؤلفه إيشو مالك خليل نقلاً عن الدكتور منكنا أن: "الأكثرية الساحقة لسكان حدياب كانت نصارى وغالبية أولئك النصارى تنتمي الى أصل فارسي وليس الى أصل آرامي، وكان بينهم أيضاً أناس ينتمون الى أبوين مسيحيين كانا في الأصل ينتميان الى الزرادشتية".

لقد نشرنا بالعربية مقالاً مفصلاً بخصوص حكومة أديابين في جريدة (خهبات) العدد الصادر في ١٠/١٩٩٢، وذلك بعنوان (حكومة كُردستان الجنوبية - حكومة أديابين- في العهد الأشكاني). وبخصوص أصل حكام أديابين قال المرحوم الأستاذ توفيق وهبي في كتابه (سفرة من دهره ندى بازيان الى مله ي تاسلوجه، ص ٢٦) وفي بحثه المنشور في مجلة المجمع العلمي العراقي المجلد الرابع بخصوص ألتون كويري، أنهم من القبيلة السيكائية. ويقصد (ماسكت - اسكت) من القبائل الآرية التي تكون منها ومن الميديين والمناثيين وسكان كُردستان الأقدمين الشعب الكُرد. ولا أستبعد أن تكون قبيلة ماسكي (ماسك) الإيزيدية الكُردية، والتي أسلم قسم منها (وأنا من أبنائها) تحمل إسم تلك =

## الروم (البيزنطيون)

لم أقتنع في السابق بما ذكره ياقوت الحموي من وجود قسم من الروم (البيزنطيين) في مدينة (ملازغر) (٤٦)، وإستبعدت ذلك لأنني لم أجد في مصدر آخر ما يؤيد قوله. ولكنني الآن مقتنع بذلك، بعد أن إطلعت على ما ذكره الرحالة الأندلسي ابن جبير والعالم الروسي مينورسكي وهو يؤيد ذلك. ولم أشك في أن قسماً من الروم قد سكن قبل العصر الدوستكي في مناطق تعتبر الآن من البلاد الكرديّة، وذلك بسبب إحتلال الدولة الرومانية والبيزنطية لها مراراً وبقائها تحت سيطرتها فترات عديدة، وخاصة في العصور المسيحية. وقد كان في المناطق الواقعة شمال دياربكر كمنطقة شمشاط وملاطية طائفة من الروم حتى أواخر القرن الثالث الهجري أو أوائل القرن الرابع الهجري (القرن العاشر الميلادي)، وكانت موالية للمسلمين تقف الى جانبهم بسبب خلافات عقائدية بينها وبين الروم الآخرين. غير أن هذه الطائفة اضطرت الى الجلاء عن تلك المناطق بسبب سوء تصرف المسلمين إزاءهم، على ما قاله قدامة بن جعفر (ت. ٣٢٠هـ = ٩٣٢م) وإنتشر الأرمن في أماكنها (٤٧).

ويظهر أن أقليةً بيزنطيةً ظلت في كردستان الى عصر الدولة الدوستكية، بل حتى النصف الأول من القرن السابع الهجري (القرن الثالث عشر الميلادي) وحتى القرن التاسع عشر. وتفصيل ذلك أن ابن جبير بات ليلة في قرية الجسر الواقعة بين بلدة دنيسر (قزل تپه) ورأس العين، وهو في طريقه الى بلاد الشام سنة (٥٨٠هـ = ١١٨٦م)، فوجد إن سكانها من الروم (٤٨).

إن ابن جبير لم يتوهم في قوله المذكور، لأنه إضافة الى مبيته ليلة في قريتهم ذكر أنه مر بين دنيسر وقرية الجسر بقرية تل العقاب، الشبيهة في جمالها بقرى الأندلس (أسبانيا، وكان يسكنها النصارى). فلم يقل أنهم من الروم، بينما نبه على سكان القرية الأخرى كانوا فرقة من فرق الروم.

أما مينورسكي، فقد أشار الى وجود أقلية يونانية في كردستان في القرن التاسع عشر، حين قال: إن حركة إيزدين شير أمير بوتان لم تكن ضد المسيحيين، لأن النسطوريين واليونانيين الذين كانوا يعيشون في كردستان حاربوا تحت راية إيزدين شير (٤٩).

وكذلك قال ميجر سون عند ذكر زيارته لمدينة دياربكر: "إن من بين مسيحيي دياربكر بقية إغريقية من أيام حكم البيزنطيين" (٥٠)، علماً إن مدينتي آمد (دياربكر) وفارقين بنيتا من قبل الروم ماعدا

=القبيلة أو مجموعة القبائل الماسكيتية.

أما ما قاله گرانث ونقله عنه الدكتور سوسة من أن القبائل الإيزيدية (الكرديّة) كانت من أولئك اليهود، فإنه لا يستحق الرد عليه. وكان (گرانث) عنصر التخريب بين الآثوريين والثورة الكرديّة بقيادة بدرخان في إربعينيات القرن التاسع عشر ورجلاً غير منصف ويكره الكردي.

(٤٦) الحموي، معجم البلدان، ج ٥، ص ١٠٢.

(٤٧) قدامة بن جعفر، كتاب الخراج، ص ٣٥٤.

(٤٨) رحلة ابن جبير، ص ١٩٥.

(٤٩) مينورسكي، الأكراد ص ٢٦، ترجمة الدكتور معروف خزنه دار، كانت حركة إيزدين شير ضد الأتراك سنة ١٨٥٥م.

(٥٠) ميجر سون، رحلة متكرر الى بلاد ما بين النهرين كردستان، ص ٨٧.

قلعة دياربكر (إيج قلعه) فإنها تعود الى العهد الحثي كما سيأتي.  
وهكذا يتضح لنا بأن أقلية من الروم كانت تعيش في كُردستان الوسطى أيام الدولة الدوستكية،  
وأنها كانت تشكل إحدى أقلياتها القومية آنذاك كالأرمن والسريان والعرب، وإنها ظلت في كُردستان  
وعاشت مع الشعب الكُردى الى أواسط القرن التاسع عشر بل الى أوائل القرن العشرين، لحين قيام  
الحكومة التركية بتشريد المسيحيين وإرتكاب المذابح التي لن ينساها التاريخ بحقهم.

## الحياة الإجتماعية

### طبقات المجتمع

يمكن لنا أن نقسم مجتمع كُردستان الوسطى في العهد الدوستكي الى الطبقات التالية:

#### الطبقة الغنية:

وكانت تتكون من ذوي الدخل الكبير كأبناء الأسرة الدوستكية والأمرء والقادة الكبار وكبار  
الموظفين من وزراء وكتّاب وقضاة وبعض من رجال الدين وكذا تجار وإقطاعيين. وكانت توجد في  
العهد الدوستكي طبقة من الأثرياء من كبار التجار والأسر البارزة في العاصمة فارقين، أمثال التاجر  
أبي بكر بن جري، وابن بهات، وأبي الحسن بن وصيف، وبنو المحور، وابن أبي الريحان، وأبي طاهر  
بن الحمامي، وبنو غالب، والقاضي أبي بكر بن صدقة السعدي، وبنو عيسى وبنو نباته.  
وكانت في دياربكر أيضاً طبقة من الأثرياء، منها القاضي أبو علي ابن البغل، والقاضي أبو الحسن  
الأمدي الذي سكن فارقين، والشيخ عبد البر، وابن دمنة، والقائد مرتج، وبيت النخوار المسيحي<sup>(١)</sup>،  
وكذلك بيت سابا المسيحي في باسبرينا من طورعبددين<sup>(٢)</sup>، وبنو وهبان في الجزيرة<sup>(٣)</sup>، وآل توما

(١) كان بيت النخوار أسرة مسيحية في دياربكر منها ابن الخمار، الذي كان من أبرز أبنائها ومن أبرز شخصيات  
دياربكر في وقت ما من العهد الدوستكي، وكان كاتب الأمير محمد بن نصرالدولة والي المدينة المذكورة. وذكر الفارقي  
أن إسم أسرة الخمار الأصلي والقديم كان (بيت الخمار) حيث جرى تبديل الإسم لإبعاد صفة الخمار عنها، وظلت الأسرة  
تتمتع بمركزها الإجتماعي حتى عهد الفارقي. راجع تاريخ الفارقي، ص ١٢٦ و ١٤٧. وورد ذكر بيت النخوار أيضاً في  
كتاب أخبار بطاركة كرسي المشرق من كتاب المجلد، ص ١٣١ لماري بن سليمان.

(٢) تكرر ذكر آل سابا (أي آل الشيخ) في (تاريخ طورعبددين) وفي (اللؤلؤ المنشور) لأفهام برصوم. راجع على سبيل  
المثال، ص ٢٩ من الأخير. أما (باسبرينا) - والنسبة إليها السبريني - فإنها قرية تقع في شرق مديات في منطقة  
طورعبددين. لهذه القرية تاريخ حافل لما نشأ منها كثير من رجال الدين المسيحيين. زارتها أوائل هذا القرن مس  
(گرتروود بيل) وكتبت عنها وعن بعض آثارها: راجع كتابها Amorath To Amorath. فصل من زاخو الى دياربكر.

(٣) راجع ابن الأثير، الكامل، ج ١٠، ص ٤٩.

المسيحي الشرقي في بلدة حصن كيفا(٤). وكانت هذه الطبقة تعيش عيشة رخاء وترف. أما الأمراء الدوستكيون ومعهم بنو أعمامهم، فقد ملكوا الأراضي والعقارات والقصور والجواري والخدم وتفننوا في أسباب الترف، ولاسيما نصرالدولة الذي بلغت قيمة مسبحته (٢٢٥) ألف دينار(٥)، أي ربع مليون دينار، علماً أنها تعتبر أكبر وأثمن سبحة في التاريخ. وبلغ فن الطبخ حداً كبيراً من التقدم، إقتضاه إرتفاع مستوى المعيشة، ولاسيما بعد أن عاد الطباخون الذين أرسلهم نصرالدولة الى مصر لتعلم فن الطبخ المتداول في مطابخ مصر، وخاصة مطابخ الخليفة الفاطمي وأمرائه وأرباب الترف هناك(٦).

### الطبقة المتوسطة

كانت هذه الطبقة تتكون من الموظفين الصغار والتجار المتوسطين وأصحاب الملكيات الصغيرة من الأراضي الزراعية، وكذلك من أصحاب الحرف التي تدر دخلاً متوسطاً.

### الطبقة الكادحة

كانت تتكون من ذوي الدخل المتدني من الفلاحين، الذين لايملكون أرضاً زراعية، ومن العمال الذين يشتغلون بأجرة قليلة في الأعمال المختلفة. وكانت تتكون أيضاً من أصحاب الحرف كالحداذة والنجارة والباعة المتجولين من ذوي الدخل الواطيء. وفي سنة (٤٨٥هـ = ١٠٩٣م) إثر وفاة ملكشاه وفراغ السلطة في فارقين، ظهر أن هذه الطبقة ومعها الشباب كانت أخلص الطبقات وأشجعها وأصدقها وطنية وأبعدها نظراً. فقد إلتفت حول الشاعر الوطني الجسور (إبن الأسد) الفارقي، الذي أخذ قيادة المدينة من الأغنياء، وفي مقدمتهم القاضي أبو بكر بن صدقة السعدي، الذين كانوا يحفظونها ليسلموها الى السلاجقة مرة أخرى.

فقد أرسل الأغنياء وفداً الى الملك (بركيارق) بن ملكشاه ليرسل معهم والياً كي يسلموا المدينة إليه. ولما يسوا منه أرسلوا وفداً برياسة القاضي المذكور الى (تُتَش) أخو ملكشاه، وهو يحاصر مدينة نصيبين، ليحضر هو أو يرسل أحد رجاله ليسلموا المدينة إليه. لكن الطبقة الكادحة بزعامة إبن الأسد كانت ضد الإحتلال السلجوقي الأجنبي وعملت على إحياء الدولة الدوستكية. فقد أرسل الشاعر الخالد إبن الأسد الى الأمير ناصرالدولة منصور، وكان قد قدم من قرية (حربى) القريبة من بغداد الى مدينة الجزيرة وإفتتحها- للمجيء الى فارقين ليسلم إليه المدينة. فحضر وإستلمها، وإستوزر إبن الأسد وأحيا الدولة. ثم إحتلها تُتَش ومنح قرية (قلوفح) للقاضي إبن صدقة السعدي المذكور مكافأة لإخلاصه للحكم السلجوقي ولحياتته البلاد وشعبها الذي عاش سعيداً خلال الحكم الوطني الدوستكي،

(٤) أفرام برصوم، تاريخ طوعبيدين، ص٣٤٨. حدد تاريخ إشتهار هذه الأسرة بالفترة ١٠٥٠-١٢٩٢م.

(٥) التفاصيل في الجزء الأول من الدولة الدوستكية، ص٣١٠ وتاريخ الفارقي، ص٢١٤-٢١٦.

(٦) راجع التفاصيل في الجزء الأول أيضاً، ص٤٤٨ - ٢٥٠ موضوع نصرالدولة يوفد بعثة من الطباخين الى مصر.

كما ذكرنا بالتفصيل في الجزء الأول. وقد ذكر الفارقي في الصفحات ٢٣٢-٢٣٣ أنه كان لابن الأسد "جمع وتلامذة وجماعة إلتقوا به وإجتمع إليه جماعة من السوقة والشباب والجهال وجعل يدور في المدينة ويحفظ السور والبلد...". وقال في الصفحة (٢٣٨): أن ابن الأسد عندما إحتل تُتَش فارقين إنهزم وإختفى، ثم توجه الى تُتَش في حرآن لعله يعفو عنه، ولكن بعض الحاضرين حرّضوه عليه وقالوا إنه هو الشخص الذي "جمع الغوغاء والجهال وإستدعى ابن مروان وسلم إليه فارقين فأمر بضرب عنقه بحرآن في سنة سبع وثمانين وأربعمائة".

إن حركة ابن الأسد هذه كانت حركة فتوة شعبية شبيهة بحركة الفتوة الشعبية التي ظهرت في العهد العباسي في بغداد وكانت تعادي الإحتلال الأجنبي، والتي وصف المؤرخون رجالها آنذاك بالسوقة والغوغاء والجهال والعيارين، والتي سحقها المغول بعد مقاومة عنيفة منها. وكان الغزاة والمحتلون يستهدفون سحق هذه الحركات الشعبية بالدرجة الأولى.

الجدير بالذكر أنه كان يوجد في الدولة الدوستكية الرقيق الذين لا يملكون أي شيء ويباعون ويُشتررون كما في سائر الدول في ذلك العصر. وكانوا يجلبون الرقيق من الخارج، وكان نصرالدولة نفسه يمتلك الكثير من الخدم الرقيق والجواري، حتى قيل أنه كان يملك ألف جارية للأغراض المختلفة. وكان يشتري بعضاً منهن بألاف الدنانير فقد إشتري إحداهن بـ (١٤) ألف دينار (٧).

وكانت بعض الأسر الغنية تملك الخدم المملوك مثل بني نباته في فارقين، فقد كان (صافي) جد المحتسب علي بن محمد بن صافي الذي أصبح الأمر والنهي في يده في فارقين لسنوات بعد سقوط الدولة الدوستكية- كان مملوكاً لبني نباته (٨). وكان ابن فليوس، الذي إرتقى الى منصب كبير في الشرطة غلاماً مملوكاً لشيره بن مهم (٩).

ومع هذا كانت نسبة الرقيق قليلة في الدولة الدوستكية مقارنة بالدول بالأقطار الأخرى، حيث كانت بعض الأسر الغنية تملك عبداً أو جارية للإستخدام، عدا نصرالدولة أو عدد قليل من الأمراء أو من الأغنياء، الذين يحتمل تملكهم لعدد أكثر من هذا حسب توقعنا.

## المرأة

لم تصلنا معلومات كافية عن حياة المرأة الكرديّة في العهد الدوستكي. لذا لا نعلم عن عاداتها وتقاليدها وزيتها، عدا التقاليد الدينية أي ما له علاقة بالإسلام وروابطها العائلية مع زوجها وأطفالها... حيث إنها لم تتغير حتى الآن. ولكن هناك أمور أخرى مجهولة بالنسبة لنا، إذ لم نجد حولها نصوصاً تاريخية. ولو أننا نعتقد بأن المرأة الكردية في الوقت الحاضر قد ورثت من جدتها زيتها الشعبي والكثير من تقاليدها وعاداتها، وكذا الحال بالنسبة للمرأة غير الكرديّة مسلمة كانت أو

(٧) راجع الجزى الأول، ص ٢٦٣-٢٦٥.

(٨) الفارقي، ص ٢٤٦. هناك احتمال تملكهم إياه قبيل العهد الدوستكي أيضاً.

(٩) نفس المصدر.

مسيحية. إن بعض نساء الأسرة الحاكمة شاركن في الحكم وتدخلن في أمور الدولة وفي مقدماتهن الأميرة الديلمية زوجة الأمير باد بن دوستك. فقد كانت المذكورة في قلعة حصن كيفا (حسنكيف) عندما زحف زوجها الى الموصل سنة (٩٩٠م)، ولما عاد الأمير أبي علي حسن بن مروان بجيشه المندحر وخشي أن تتمرد عليه إذا أخبرها بمقتل خاله قبل دخوله القلعة. ولما دخلها أخبرها بالأمر وطلب منها مساعدته في تسليم كافة المدن والقلاع التي كانت تحت سيطرة خاله ووعداها بالزواج منها وإشراكها في الحكم والإستشارة برأيها في أمور الدولة. فوافقت على شروطه فذهبا معاً بالجيش الى فارقين ودخلاها وتسلما باقي المدن والقلاع بدون أي تمرد من أحد. وهكذا وجدت هذه الأميرة لها دوراً في توطيد حكم الأمير حسن وفي سلامة الدولة. وهناك أيضاً الست عزيزة بنت (زنك) بن (أوان)، التي إحتفظت بمدينة دياربكر بعد وفاة زوجها الأمير سعيد بن نصرالدولة سنة (٤٦٤هـ = ١٠٧٢م)، الى أن أقنعها الأمير نظام الدين ووعداها بالزواج منها وبإحترامها فسلمت إليه المدينة (١٠).

كما ذكر الفارقي بعض الأعمال التي قامت بها المرأة، فذكر أن (ست الملك) بنت نصرالدولة وكبرى أختيها الست زينب والست زبيدة، قد شيدت القبة المروانية في ضاحية فارقين التي ضمت قبر والدها (١١)، ثم قبر الأمير نظام الدين وابنه الأمير أحمد، والأمير سليمان بن الأمير بهرام بن نظام الدين (ت ٥٥٦هـ)، والأمير إبراهيم بن أبي الفوارس بن إبراهيم بن نصرالدولة (ت ٥٥٩هـ). كما شيدت (ست الناس) بنت الأمير سعيد قبة بدياربكر على ضريح زوجها ناصرالدولة منصور تطل على دجلة عند رأس القصر (١٢). وإعتزلت في بلدة فنك بعد وفاة زوجها وإشترت ديراً حولته الى مسجد، وأقامت فيه متعبدة ومنتزهة الى أن توفيت ودفنت في القبة التي شيدتها بجانب زوجها (١٣).

وكانت فريحة بنت فلسطين، زوجة الوزير أبي سالم الطبيب، امرأة مسيحية ذكية لبقة ساعدت زوجها في الوصول الى منصب الوزارة في الدولة. حيث إستطاعت أن تتقرب الى (ست الناس) زوجة الأمير ناصرالدولة منصور وتؤثر عليها. وقد إنتقد الفارقي الأمير وزوجته لخصوعهما لفريحة وأبي سالم، وقال أنه لما سافر الى أصبهان وسلم البلاد إليهما. وذكر ابن العماد الأصبهاني أن هذه المرأة وذكرها باسم "رحيمه" قابلت الوزير نظام الملك الطوسي، وزير السلطان ألب أرسلان السلجوقي، لما قدم الى فارقين سنة (٤٦٣هـ = ١٠٧١م). وقال لها الوزير وقد بلغته شهرتها: أنت ألسنت رحيمه؟ فأجابته على الفور: بل الأمة المرحومة. ففرح بجرأتها الأدبية وحاضر بديهتها (١٤)، وعبارته تدل على ان خبر قابلية هذه المرأة قد وصل إليه سابقاً.

وقد وصل إلينا من عادات المرأة في العهد الدوستكي عادة تجميل النساء في حفلات الزفاف من قبل امرأة ممتهنة خاصة تدعى (ماشطة). وقد ذكر ذلك أبو العلاء المعري حين قال بأنه: "كانت في

(١٠) الفارقي، ص ١٩١-١٩٢.

(١١) نفس المصدر.

(١٢) نفس المصدر، ص ٢٧٣.

(١٣) ابن الأثير، الكامل، ج ١٠، ص ٨٨.

(١٤) عماد الدين الأصبهاني، خريدة القصر، ج ٢، ص ٣٤٩. الفارقي، ص ٢٠٦، ٢٠٨.

مدينة آمد (ديار بكر) في زمنه إمراة مقينة ماشطة تمتهن تزيين النساء في الأعراس. وكانت زوجة رجل أعمى ينجم للناس وكان لهذه المرأة ذوق أدبي في معرفة أوزان الشعر وحينما يخلُ زوجها بأبيات شعرية كانت تحس بذلك وتنبهه وتحث بينهما مناقشة" (١٥).

## الأعياد والمناسبات

كان الشعب في البلاد دوستكية يحتفل كباقي الشعوب بالأعياد والمناسبات الدينية. وكان سكان فارقين يخرجون في العيد للنزهة الى خارج المدينة كما هو معلوم من (الفارقي، ص ٦٨). ويحتمل أن هذه العادة كانت عامة في المدن الأخرى أيضاً. ومما يتوقع أن الإحتفال بعيد نوروز كان يقام في كُردستان على النطاقين الرسمي والشعبي، وذلك أن الدول الإسلامية كانت تحتفل به آنذاك. ولإحتفال بعيد نوروز في الدولة العباسية حديث طويل في المصادر التاريخية، حتى أن المؤرخين إعتبروا هدايا نوروز الكثيرة الى الخليفة من جملة المصادر المالية. ومن المعلوم أن الدولة العباسية إتخذت عيد النوروز بدايةً للسنة المالية، وكانت تسك النقود في نوروز وكذلك في عيد (مهرجان) في بداية الخريف، حينما كانت الدولة تحتفل بالمهرجان أيضاً. وكانت الدولة الفاطمية في مصر أيضاً تحتفل بنوروز، وإستمر هذا عيداً كبيراً معروفاً في مصر الى أن ألغاه الملك الظاهر برقوق في القرن الرابع عشر (١٦).

وعلى الأغلب فإن الدولة دوستكية، التي كانت تقتبس النظم المدنية والعسكرية من دول عصرها ولاسيما الدولتين العباسية والفاطمية، إقتدت بهما في الإحتفال بهذين العيدين على نطاق رسمي، علماً بأن نوروز ظل مستمراً في كُردستان الى الآن. وقد ذكر العالم والمفكر الشاعر الكُردي أحمدى خاني بأن أمراء بوتان مع سكان الجزيرة كانوا يحتفلون به. وقد حدث في يوم نوروز اللقاء الأول بين (مهم وزين) وذلك في القرن الخامس عشر الميلادي، فإلتهب بينهما الحب الصادق (١٧).

(١٥) المعري، رسالة الغفران، ص ٥٧٢. النسخة التي حققتها الدكتورة بنت الشاطيء، وفيها زيادة حوالي ثلاث صفحات على النسخة التي حققها ونشرها كامل كيلاني وتبدأ الزيادة بالعبارة التالية "وحدث رجل ضرير من أهل آمد..." أي بقصة الماشطة وزوجها، علماً إن المعري ألف رسالة الغفران في أواسط العهد دوستكي دفاعاً عن وزيرها أبي القاسم المغربي كما سيأتي في موضوع الحياة الثقافية.

(١٦) آدم متز، الحضارة الإسلامية، ج ١، ص ٢٨٩.

(١٧) أحمد خاني، مهم م وزين، ص ٥٢-٥٤ طبعة هوليبر ١٩٦٨. علماً إن ذلك كان في سنة (٨٥٤هـ = ١٤٥٠م) أو التي قبلها، حيث أن العاشقين مهم م ثلاثان والأميرة زين توفيا في السنة المذكورة، حسبما هو مكتوب على شاهد قبر زين. وقد بقي لقبها شاهد واحد كُتب عليه ما يلي حسبما قرأته: "توفيت في سنة أربعة وخمسين وثمانمائة رحمة الله عليها وعلى جميع المسلمين". وقد ذكرنا التاريخ في كتابنا ديوانا كرمانجي (ص ١٤٥-١٦٠). هذا وأشار الى النوروز أيضاً الشاعر الكُردي ملاي جزيري الذي عاش ما بين القرنين ١٦ و١٧ الميلاديين وقد قال:

ئهو نارو سيقالا دله داتم دنيث داخا دلسه

نهوروز و سهر سالا دله وهختي كو هلبت نهو سيراج

راجع ديوانه، ص ٥٨ طبعة هوليبر ١٩٦٤. وقد ورد ذكر نوروز أيضاً في دعوة الأطباء للطبيب بن بطلان، وقد ألفه للأمير دوستكي نصرالدولة. ولكن هذا لا يكون دليلاً قاطعاً على إحتفال الدولة به. راجع مقدمة دعوة الأطباء.

ومعروف أن الكُرد يعتبرون نوروز الآن عيدهم القومي، حيث ذكر المؤرخون أن كاوة الحداد الذي قاد الثورة على الملك (الميدي) الضحاك في الحادي والعشرين من آذار كان كردياً. ولكن ذلك غير صحيح. إذ ليس لنوروز أي علاقة بالضحاك (أزي دهاك - أستياك) بن كيخسرو آخر ملوك الدولة الميدية الكُردية وليس لكاهه أي وجود. وقد صححنا هذا الخطأ التاريخي في كتابنا (شوتينه واره كاني نوي له شاخي سورين). والإحتفال بنوروز إحتفال بسقوط الدولة الكُردية (دولة ماد)، وعيد نوروز إنما هو عيد الربيع فقط.

وبصد الإحتفال بالأعياد الدينية ذكر الفارقي أن نصرالدولة جلس لهناء العيد على التخت في اليوم الرابع من عيد الأضحى لسنة (٤٠٣هـ = ١٠١٣م) وحضر الشعراء والقراء، وجلس على يمينه مندوبا الخليفة العباسي والملك البويهبي وعلى شماله مندوب الإمبراطور البيزنطي، وكان يوماً عظيماً وعيداً مشهوداً<sup>(١٨)</sup>. ومعلوم إن مهمة الشعراء كانت إلقاء القصائد في مدح الأمير بهذه المناسبة ومهمة القراء قراءة آيات من القرآن والأناشيد الدينية.

وكان للمسيحيين في كُردستان أعياد ومناسبات دينية يحتفلون بها ويحضرها المسلمون أيضاً، مثل عيد (دير مرقوما) القريب من فارقين. وقد ذكر الشابشتي المتوفي في العهد الدوستكي بأن: "لهذا الدير عيداً يحتفل به الناس ويقصده أهل البطالة والخلاعة للشرب فيه"<sup>(١٩)</sup>.

وكان لدير الكلب أيضاً عيد في يوم معلوم من السنة، وكان المسلمون من الرجال والنساء يشاركون فيه المسيحيين للإحتفال ويستمتعون بالأغاني والملاهي، على ما ذكره العمري في (مسالك الأبحار، ج ١، ص ٢٥٤). وذكره الشابشتي في (الديارات، ص ٢٦٢)، والمقدسي في (أحسن التقاسيم، ص ١٤٦) وغيرهم. ويعود الدير الى ما قبل الإسلام ويسمى الآن بـ(دير مار ياقسو)، وفي ١٩٩٥/٦/٢٣ إكتشفت في قرية (قه شه فر)، الواقعة في الجبل الأبيض بمسافة حوالي عشرين كيلومتراً أو أكثر شمال غرب دهوك. فصور آثاره وعشرات من الصوامع والكهوف المنحوتة في الصخور، بينما كان مكانه مجهولاً للمؤرخين المعاصرين. ويعد (دير الكلب) بصوامعه من أهم أديرة كُردستان وسأنتشر بحثاً بخصوصه.

ومن المناسبات الأخرى تنصيب الأمير الدوستكي في إحتفال يحضره الأمراء والقادة ورؤساء العشائر والشعراء والمنجمون ووجهاء العاصمة إضافة الى القاضي والشهود، أي هيئة المحكمة الشرعية أي القضاء إضافة الى العلماء. وكان الوزير يخلع على الأمير الملابس الرسمية ويقبل الأرض بين يديه ويخاطبه بالإمارة، أي يعلن تأميره، ثم يبدأ الشعراء والقراء بقراءة أشعار وأناشيد التهنئة. أما العزاء بمناسبة وفاة الأمير، فكان يعلن عنه الوزير وسط الجماهير التي تحضرت مراسم التأمير. فيبدأ بشق ثيابه ونشر عمامته والبكاء، كما يخلع الأمير الجديد ملابسه الرسمية بعد ساعة من لبسها، ويلبس ثياب العزاء ويجلس على الأرض ويبدأ القراء بقراءة المراثي.

(١٨) الفارقي، ص ١٠٨ و ١٠٩ و ١١٠.

(١٩) راجع الشابشتي، الديارات: دير برقوما.

لقد أعطانا الفارقي صورة صادقة عن تنصيب الأمير نظام الدين والأمير منصور، كما أعطانا صورة عن تنصيب نصرالدولة وكذا عن العزاء بوفاة الأخير ونظام الدين (٢٠). ويظهر لي إن الضرب على الصدور وخاصة من قبل النساء بصورة جماعية لم يكن شائعاً في كردستان الوسطى في ذلك العصر، حتى إن الكرد ينسبون هذا النوع إلى العرب ويسمونه "شينا عه ره بان"، ولكنه إنتشر بين الكرد المجاورين لهم في كردستان العراق، مثل كرد مندلي وخانقين. وهذا النوع من العزاء بمناسبة وفاة الأمراء إنتشر في لورستان من كردستان إيران منذ قرون. وقد ذكر ابن بطوطة في القرن الثامن الهجري (القرن الرابع عشر الميلادي) صورة حية للعزاء بمناسبة وفاة ابن الأمير الكردي أفراسياب بن السلطان أحمد، وذلك بمدينة (إيدج) عاصمة لورستان وكان ابن بطوطة حاضراً فيه (٢١).

وكان من المناسبات المسرة السفر إلى قلعة هه تاخ ومدينة النصرية. كان الأمير ممهد الدولة قد إتخذ قلعة هه تاخ (عقاق، أتاق، إيتاخ) (٢٢) مربعاً له. إذ كان يسافر في الربيع مع حاشيته وبني عمه

(٢٠) الفارقي، ص ٩٥، ١٧٨، ٢٠٢. وراجع أيضاً الأعلاق الخطيرة ورقة ٩٣.

(٢١) رحلة ابن بطوطة، ص ١٩٦. أضاف إنه رأى الناس فرقتين في العزاء لابسين جلال الدواب والتلابيس جاعلين فوق رؤوسهم التراب والتين، وهم يضربون على صدورهم تزحف فرقة إلى أخرى. وأما القضاة والخطباء والأشراف، فعليهم ثياب خام غليظ غير محكمة الخياطة يلبسونها مقلوبة ويستمر العزاء أربعين يوماً. وقال إنه لم يشهد منظرًا فظعاً مثل هذا العزاء علماً أن ذلك كان سنة (١٣٢٩م). تقع إيدج (إيدج ج) في شرق مسجد سليمان.

(٢٢) تقع هه تاخ في جنوب شرق مدينة لجي بمسافة حوالي (١٣) كلم ويسمىها الكرد الآن إيتاخ. وهي قرية جميلة واقعة في أحضان جبل والقلعة تقع فوق الجبل. وفي إيتاخ مسجد ومنارة أثريين يعودان إلى العهد الأرتقي. أما تاريخ القلعة، فيرتقي إلى العهد الروماني على ما في كتاب (Butun Cebheleri Diarbakir)، ص ٦٦ باللغة التركية والإنجليزية لعادل تكين). راجع أيضاً شوكت بيسان أوغلو: Diarbakir ص ٢١٨. وقد حدد لي مكان هه تاخ الشاب المثقف (ملا خالد لجي). أما لجي (ليجه)، فمدينة نفوسها كان في سنة ١٩٧١ (٨١٩٠) نسمة، وهي مركز قضاء يبعد عن ديار بكر بمسافة حوالي (٩٥) كلم من جهة الشرق. وفي هذا القضاء آثار تاريخية مهمة منها مدينة (دقيانوس) وتشاهد خرائبها في (فيس) بين ديار بكر وليجه. وكهف برليان في قضاء لجي (ليجه) يضم آثاراً آشورية. ولكن مما يؤسف له أن مدينة لجي قد أصيبت يوم السبت المصادف ٦ أيلول ١٩٧٥ بزلزال عنيف دمرها، وبلغ عدد القتلى فيها أكثر من ألف شخص. ويقال أنه بلغ عددهم ما يقارب الـ (٣) آلاف شخص. وفي الواحد والعشرين من آب ١٩٧٧ سافرت من ديار بكر إلى هه تاخ لمشاهدتها وتصويرها، وهي تقع في شرق مدينة ديار بكر بمسافة حوالي (٩٥) كلم ويسمىها الكرد (أنتاخ) وإيتاخ. تقع القرية في أحضان جبل غير عال، وكانت تعيش فيها ثلاثين أسرة، وأمامها واد فسيح فيه ينبوعان قلبي الماء ولذلك حُفرت في القرية آبار وبساتينها قليلة. أما القلعة، فعبارة عن سنام صخري حاد وضيق جداً فوق القرية، ولكنه حصين جداً وعليه آثار أبنية قليلة وحوض ماء، ويحتمل وجود حوضين آخرين مطمورين تحت التراب، إلا أن مياههما لا تكفي لمئات المقاتلين إن حوصروا مدة طويلة. والقلعة ليست كبيرة ولضيق مساحتها لا تسع مقاتلين كثيرين. ويمكن من القلعة مشاهدة منطقة واسعة من الجبال ومن مدينة لجي سهلها (سهل بامه تنج)، الذي ينتهي من الشمال بجبل القلعة. وبالنسبة للنزهة تتمتع هه تاخ بموقع خلاب وكانت إبان العهد الإسلامي مدينة، وكذلك في العهدين الدوستكي والأرتقي. وقد شيد فيها أمير أرتقي لعله نجم الدين ألبى بن حسام الدين تمرتاش، الذي حكم من (٥٤٧-٥٧٢هـ)، منارة مربعة جميلة لا زالت باقية حتى الآن. وكانت هه تاخ مركز تلك المنطقة في العهود المذكورة. وفي كتاب (فتوح الشام، للواقدي، ب ٢، ص ١٦٥-١٦٨) أن: "عياض بن غنم بعد فتح مدينة آمد سنة ١٨ هـ توجه بجيشه لفتح قلعة هه تاخ، وكان أميرها المتحصن بالقلعة (يانس بن كليوس)، وهو مسيحي تابع للروم قد جمع رجال القرى المجاورة في بلدة هه تاخ إستعداداً للقتال. وكان عنده مجانيق وعرادات وتحدي عياض بأنه لن يستطيع الإستيلاء على هه تاخ حتى إذا حاول ذلك مدة سنة. ولكن زوجته (ميرونه) سبطة (بريول بن كالوص)، أمير (قلب) و(الحصن الحديد)، وقعت في يد رجال عياض أثناء عودتها من عند جدها وكانت في غاية الجمال، فجزع لها =

إليها، ليقضي فيها أحلى الأيام بين المروج والمناظر الطبيعية الخلابة ملازماً الصيد والشرب هناك في ضيافة حاجبه شيروه، الى أن أغتيل فيها بيده (٢٣).

أما نصرالدولة فلم يتخذ من ههناخ مربعاً له بسبب تلك الذكرى الأليمة، أي ذكرى مقتل أخيه. ففكر في إختيار موقع آخر يمتاز بحلته القشبية أيام الربيع. فإختار موقعاً على الضفة الشرقية من نهر باطمان الكبير، وبنى فيه مدينة بإسم (النصرية) تضم القصور والأسواق والبساتين وأحواض المياه. فكان نصرالدولة يسافر في فصل الربيع سنوياً إليها مع نسائه وجواريه ومغنياته وغلماؤه وأولاده وبنى عمه وحراسه. وكان يسافر معه وزيره وكتابه و كبار الشخصيات. كانت (النصرية) لذلك عاصمته الربيعية، وكان يجعل المسافة بينها وبين فارقين أربعة أيام، رغم كونها حوالي (٢٥) كلم، وذلك لأنهم كانوا ينتقلون من بقعة الى بقعة ويقيمون في الفنادق والبنائات، التي شيدها نصرالدولة في الطريق، ليتمتعوا بمناظر الطبيعة والمروج الخضراء. وكانوا يقيمون بالمدينة في فصل الربيع ثم يعودون الى فارقين. ولهذا كانت السفارة الى العاصمة الربيعية من أجمل المناسبات (٢٤).

أما فيما يتعلق بالألعاب، فلم يصل إلينا سوى لعبة الشطرنج وكانت لعبة معروفة في كردستان. وقد ذكر الفارقي حادثة لعبة الشطرنج بين عارض الجيش (أبي الحكيم) وأحد خدم نصرالدولة التي كادت أن تؤدي الى كارثة (٢٥).

لاشك بأنه كانت هناك في كردستان ألعاب أخرى كالنرد (كوك) وسباق الخيل، ومازال النرد لعبة شعبية شائعة دخلت كردستان على أغلب الاحتمالات قبل الإسلام. وكان الصيد كذلك شائعاً بين الكُرد منذ آلاف السنين لكثرة الحيوانات البرية في كردستان، وأهمها بالنسبة للصيد الأروية أي المعز الجبلي (پهزئ كوفى)، والذي توجد له صورة منحوتة في كهف (گوندك)، الواقع في شرقي قرية شوش الشهيرة في منطقة (ناكرئ) في كردستان العراق. ويرجع علماء الآثار أن مشهد الصيد المنحوت هناك يرجع الى أواخر الألف الثالث قبل الميلاد (٢٦).

ولا يزال هذا الحيوان موجوداً في المناطق الجبلية من كردستان، وكان يتم إصطياده في العهد الدوستكي بالسهم وبالشبكة التي يمدونها في الأودية الضيقة. وقد شاهد أسامة بن منقذ الصيد في

=(يانس). فطلب من عياض إرسال سبعة من رجاله إليه للتفاوض لعله يكون بينهم خالد بن الوليد. فأرسلهم وعندما دخلوا القلعة وإستقبلهم يانس قتله خالد رأساً لأنه توقع أن يانس يقبض عليهم كرهائن. وحدث قتال وأرسل عياض أربعمائة من رجاله لنجدة خالد وتمكنوا من الإستيلاء على القلعة، وأبقى مولاه (سالماً) مع مائة رجل لحماية ههناخ ورجع. وفي كتابنا المخطوط (گهشته كئ نهر كيوئوزئ دكوردستانا باكورد)، ص ٨٠٦-٨٢٧) معلومات مفصلة بخصوص ههناخ.

(٢٣) أنظر ص ١٤٧ من الجزء الأول من كتابنا هذا.

(٢٤) راجع موضوع الآثار العمرانية.

(٢٥) راجع موضوع: وزارة ابن جهير، ص ٢٢٤ من الجزء الأول. والفارقي، ص ١٤٦-١٤٨. وموضوع الجيش من الجزء الثاني.

(٢٦) طه باقر وفؤاد سفر، المرشد الى مواطن الآثار والحضارة، الرحلة الثالثة، ص ٤٥.



هه تاخ

جبال (حصن كيفا) الواقعة في منطقة ماردين وجنوب دياربكر، حينما خرج للصيد مع الأمير الأرتقي قره أرسلان بعد مرور نصف قرن على إنتهاء العهد الدوستكي. وقال ابن منقذ إن الصيادين هناك يمدون شباكاً في الأودية ويتردون الماعز فتقع في تلك الشباك، وهي كثيرة عندهم وسهلة المنال وكذلك الأرناب. وذكر ابن المنقذ من طيور الصيد في تلك البقعة من البلاد الكرديّة الحجل (كهو) والزرخ والدراج وطير الماء الذي يلازم نهر دجلة(٢٧).

أما الغزلان فكانت تكثر في السهول الكرديّة آنذاك، ولكنها قليلة الآن وتكاد تنقرض، كما قلت أعداد الماعز الجبلي لكثرة صيده من قبل الصيادين. وإنقرض كذلك الأسد، الذي كان موجوداً في العصر الدوستكي. وقد روى لنا التاريخ أن الأمير الكردي بدر بن حسنويه كان شجاعاً قوياً يقتل الأسد بيده، وأنه أخذ يتحذر من قوة وشجاعة ابنه (هلال)، حينما قتل أسداً وكانا قد خرجا معاً الى الصيد(٢٨).

وكان الأمير نصرالدولة يخرج في أكثر الأيام للصيد لمدة حوالي ساعتين(٢٩) تسليةً وتريخاً. ومع حبه للصيد فإنه كان يمنع الناس من صيد الطيور التي كانت تضطر في فصل الشتاء، حينما تغطي الثلوج الأرض، الى النزول الى القرى فيصطادها الناس. ومع هذا فإنه كان يأمر بإلقاء الحب لها من

(٢٧) أسامة بن منقذ، كتاب الإعتبار، ص١٩٦.

(٢٨) ابن الأثير، الكامل، ج٧، ص٢٤٧.

(٢٩) الفارقي، ص١٧٠. راجع الجزء الأول من الدولة الدوستكية: موضوع برنامج نصرالدولة اليومي، ص٢٤٦.

مخازن الحبوب العائدة للدولة (فكانت في ضيافته طوال الشتاء) على ما ذكره بعض المؤرخين (٣٠). أما م مهد الدولة، فكان هو الآخر يحب الصيد ويمارسه ولاسيما حينما كان يسافر الى هتاخ، وعند رجوعه من الصيد كان يتقدمه فراشه (مشرق) ويأمر الحراس بفتح باب المدينة لأنه أمرهم بعدم فتحه لأية جماعة مسلحة أثناء خروجه للصيد، إلا إذا رأوا وجه فراشه (مشرق). ولهذا إقتاده شيروه حينما إغتال الأمير م مهد الدولة، فوجده حراس باب فارقين وفتحوه، ثم شعروا بالخدعة لما لم يجدوا الأمير (٣١).

والنثار كان عادة في كُردستان الوسطى في العهد الدوستكي في مناسبات الزفاف وزيارات الأمراء، حيث كانوا ينثرون النقود على العروس وعلى الأمير. وقد إلتجأ عبد البر الى النثار كجزء من خطته في إغتال الأمير حسن (أبي علي) حيث نشر عليه كمية من الدنانير وصوبها الى وجهه بقوة فغطى الأخير وجهه بكمه فناوشوه عندئذ بالطعن، وذلك عند دخوله مدينة دياربكر (٣٢).

ومازال النثار في الزفاف عادة جارية في كُردستان الى اليوم. أما إستقبال الضيوف وإحترامهم فإن إكرام الضيف من إحدى الخصال البارزة للكُرد كما أكد عليه المؤرخون. وكان الملوك الدوستكيون يحترمون الضيف ويوفرون له طيب الإقامة في بلادهم، وكانوا يستقبلون الوفود الرسمية بأنفسهم. حيث كان الأمير يخرج مع الوزير وكبار رجال الدولة الى خارج المدينة لإستقبالها، كما إستقبال نصرالدولة في اليوم الثالث من عيد الأضحى سنة (٤٠٣ هـ) لوفود الدول الكبرى الثلاث: العباسية والفاطمية والبيزنطية (٣٣).

وقد خرج نصرالدولة بنفسه أيضاً لإستقبال السيدة أم الخليفة العباسي (القائم بأمر الله) وإبنه (الذخيرة) ومن معهما، وذلك أثناء قدومهم الى الدولة الدوستكية كلاجئين في سنة (٤٥٠ هـ = ١٠٥٨ م)، بسبب إحتلال أبي الحارث البساسيري لبغداد وبالغ نصرالدولة في إحترامهم (٣٤). ووفر أيضاً طيب الإقامة في بلاده للملك العزيز البويهبي الملتجئ إليه وأنفق عليه أكثر من عشرين ألف دينار (٣٥).

وما إحترام نظام الدين للأمير الكُردي أبي الهيجا أمير أربيل إلا مثال بارز لإحترام الضيف وتقديره (٣٦).

(٣٠) ابن الأثير، الكامل، ج ١٠، ص ١٨. ابن كثير، البداية ولا نهاية، ج ١٢، ص ٨٧. الخرجي، المسجد المسبوك، ورقة ٢٨ مخطوطة.

(٣١) أنظر الجزء الأول، ص ١٥٦.

(٣٢) الفارقي، ص ٧٦-٧٧. ابن الأثير، الكامل، ج ٩، ص ٢٥. وفيه نشروا عليه الدراهم.

(٣٣) الفارقي، ص ١٠٩-١١٠.

(٣٤) راجع الجزء الأول، ص ٢٣٤. والفارقي، ص ١٥٣.

(٣٥) التفصيل في الجزء الأول، ص ٢٣٢-٢٣٣.

(٣٦) أسامة بن منقذ، كتاب الإعتبار، ص ٨٧-٨٨. راجع التفصيل في موضوع الزراعة الاتي.

أما الأمير منصور، فكان من عادته أن لا يستقبل شاعراً قدم إليه إلا في اليوم الثالث من قدومه، ويمهله حتى يجمع قريحته ويؤلف قصيدته في مدحه. وقد حدثت له قصة طريفة مع شاعر يدعى بالغسانی (٣٧).

أخيراً أعتذر للقراء إن لاحظوا عدم تطرقنا إلى أمور حساسة بالنسبة للحياة الاجتماعية وليصفحوا بسبب عدم الحصول على معلومات بصددها.

### الفنون الجميلة

بلغ الغناء والرقص والموسيقى والتمثيل من (الفنون الجميلة) درجة عالية في كردستان الوسطى، أو في البلاط الدوستكي، وذلك بسبب إهتمام الدولة بها وخاصة في عهد نصرالدولة. وهو إهتمام إقتضاه الرخاء والإزدهار في البلاد والميل إلى الترف. حيث ذكر المؤرخون بأن نصرالدولة، الذي تربع على كرسي الحكم مدة (٥٢) عاماً، إشتري من المغنيات والراقصات وأهل الطرب من الجوارى بأثمان عالية بلغت آلاف الدنانير. فقد إشتري إحدى المغنيات بمبلغ أربعة عشر ألف دينار. وكان في بلاطه من "الآلات" (أي الآلات الموسيقية ووسائل التمثيل والزينة) ما يزيد قيمتها عن (٢٠٠) ألف دينار<sup>(١)</sup>، أي ما يعادل حوالي عشرة ملايين دينار في الوقت الحاضر. وذكر الفارقي بأنه كان لنصرالدولة: "من المغنيات والراقصات والعمالات وأصحاب سائر الملاهي (كالموسيقى والتمثيل) ما لم يكن لسواه من سائر الملوك والسلاطين وكما سمع بجارية مليحة أو مغنية مليحة نفذ وبالح في مشتراها ووزن أضعاف قيمتها... وكان رسمه أن يجلس للجند والعساكر يوماً يأكل ويشرب معهم إلى الليل ويجلس يوماً لبني عمه وأولاده وأقاربه وخاصته فيأكل معهم ويشرب إلى الليل ثم يخرج للمغنيات والراقصات وجماعة أصحاب الملاهي... ويرقصون ويلعبون بسائر الملاهي..."<sup>(٢)</sup>.

وكان محمد الدولة الأمير سعيد يحب الغناء أيضاً، وكان يلازمه المغنون في سفراته إلى هتاخ<sup>(٣)</sup>. وكان الغناء يلقي تشجيعاً كبيراً من أحد أكبر قضاة الدولة وأعلامهم منزلة، وهو القاضي حسين بن سلمه المالكي، الذي كان قاضياً للعاصمة فارقين وديار بكر في وقت واحد. وكان هذا القاضي يأخذ معه المغنين أثناء تنقله بين المدينتين<sup>(٤)</sup>.

(٣٧) ياقوت الحموي، معجم الأديباء، ج٣، ص٤٧-٥٤. أنظر الجزء الأول، ص٢٣٦-٢٣٧.

(١) راجع ابن الجوزي، المنتظم، ج٨، ص٢٢٢. ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٦ حوادث سنة ٤٥٣هـ. أبو الفدا، المختصر في أخبار البشر، ج٢، ص١٨٩. ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٢، ص٨٧. ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج١، ص٣٦٧. الخزرجي، العسجد المسبوك، ورقة ٢٨. ابن خلدون، العبر، ج٤، ص٣١٩. بدرالدين العيني السيف المهند في سيرة الملك المؤيد، ص٧٦. راجع أيضاً الجزء الأول من الدولة الدوستكية ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٦٣، ٢٦٧ التي تضم التفاصيل والمقتطفات من المصادر المذكورة.

(٢) الفارقي، ص١٧٠. ذكرنا التفاصيل في الجزء الأول.

(٣) نفس المصدر، ص٨٩.

(٤) راجع التفصيل في موضوع القضاء.

وبما أن المغنيات والحواري والراقصات قد عشن في بلاد مختلفة مع إنتمائهن الى أكثر من جنسية واحدة، فنظن أن الغناء في العهد الدوستكي كان بلغات مختلفة وأهمها الغناء العربي وكذلك شأن الرقص والتمثيل. أما الغناء الكردي فكان هو المنتشر في كردستان، ولكن لم يصل اليها شيء عن الأغاني والرقصات الشعبية الكردية، أو عن أغاني ورقصات القوميات الأخرى في البلاد الدوستكية. ولا أستبعد العثور على أغان وقصص فولكلورية تمتد جذورها الى العهد الدوستكي، إذا ما بحث عنها بدقة في مناطق فارقين وديار بكر، مثل قصة زمبيل فروش وقصة زواج الأمير أحمد بن نظام الدين في الأسر<sup>(٥)</sup>. فالقصة الأولى تعود الى العهد الدوستكي، أما الثانية فإنها وإن وقعت بعدها إلا أنها تعد جزءاً من التاريخ الدوستكي.

أما الموسيقى، فقد كانت ملازمة للغناء وحظيت بالإهتمام هي الأخرى. ولاشك بأن نصرالدولة قد إشتري كثيراً من الآلات الموسيقية المختلفة المعروفة آنذاك، كالعود، والطنبور، والصنج، والرباب، والأوعر، والقانون، والناي (شمشال - بلور). والآلة الأخيرة، التي تعد من أقدم الآلات الموسيقية ذات الثقوب، عرفتها أغلب المدن القديمة<sup>(٦)</sup>، وكانت موجودة في كردستان قبل العهد الدوستكي بمئات بل بآلاف السنين. ولا يزال الكردي يعتبرونه آلتهم الموسيقية الشعبية. أما العود تلك الآلة الشرقية القديمة المعروفة لدى المصريين القدماء والآشوريين والفرس والصينيين، فقد كان من الآلات الموسيقية الموجودة في كردستان في العصر الدوستكي وقبله. ويرى بعض الباحثين من ذوي الإختصاص في الموسيقى القديمة، بأن العود من إختراع الحوريين سكان كردستان القدامى وإنتقل من كردستان الى العراق وغيره. وإستندوا في رأيهم هذا الى آثار لآلة العود تم إكتشافها في كردستان تعود للحوريين، منها لوحة طينية عليها رسم عازف على عود وقد أمسك عوده بشكل أفقي. لقد إكتشفت هذه اللوحة في (نوزي) القريبة من كركوك، التي كانت عاصمة إقليمية للحوريين في أواسط الألف الثاني قبل الميلاد. ولكن الدكتور صبحي أنور رشيد أثبت بأن العود في العراق كان أقدم من العهد الحوري<sup>(٧)</sup>.

وقد ورد نص تاريخي حول كون العود من الآلات الموسيقية في كردستان في العهد الدوستكي من قبل الفارقي. فقد ذكر بأنه قدمت من مصر الى فارقين مغنية مع أستاذ لها يسمى فرج: "لم ير مثلها في الحسن والجمال ولا مثل صناعتها الغناء بالعود". وقد إستهامها نصر الدولة وتزوجها، وكانت تعرف بالفرجية<sup>(٨)</sup>. ولاشك أن الآلات الموسيقية المذكورة كلها أو بعضها أو أكثر منها كانت موجودة في البلاد الدوستكية إضافة الى الآلات ووسائل التمثيل، التي كان يستعملها الممثلون "أصحاب

(٥) راجع موضوع الطب: تأسيس مستشفى فارقين: الحاشية.

(٦) يوسف زكريا، الموسيقى العربية، ص ٣١.

(٧) صبحي أنور رشيد، الآلات الموسيقية في العصور الإسلامية، ص ٥٢.

(٨) في رأي البروفيسور شتاور أستاذ الموسيقى بألمانيا والباحث في تاريخ الآلات الموسيقية القديمة في الشرق القديم، أن العود من إختراع الحوريين وتبعه تلميذه أيجن في ذلك بالإستناد الى آثار العود المكتشفة العائدة لهم في منطقتهم الممتدة من بحيرة وان حتى شمال العراق حسب تحديده. والتفاصيل في تاريخ الآلات الموسيقية للدكتور صبحي أنور. وراجع أيضاً كتابه الآلات الموسيقية في العصور الإسلامية، ص ٥١، ٥٥، ١٣٧، ١٣٨، ١٠ و ٧٣ وفيه صورة للوحة المذكورة شكل (٣٤).

الملاهي" في ذلك العصر.

وفي رأي أن التقدم الذي حصل في الفنون الجميلة لم يكن تأثيره منحصرأً على البلاط الدوستكي، بل دخل الى قصور الأغنياء في فارقين ودياربكر وغيرها، وتسرب الى الأوساط الشعبية وخاصة في مجال الرقص. ولعل آثاره قد بقيت في كردستان حتى بعد زوال البلاط الدوستكي (٩).

وبشير الجغرافي ابن سعيد المغربي الى إشتهار مدينة دياربكر بالفنون الجميلة بقوله: "إنها مشهورة بأغنياء التجار وكثرة الملاهي والمساحر (١٠)". وقد أبدى المذكور إشارته هذه بعد مرور حوالي مائة وستين عاماً على العهد الدوستكي. وإن تفوق الكرد في كردستان تركيا الآن في الرقص والغناء على سائر الأقاليم الكردية، ربما يعود سببه الى تأثيرات العهد الدوستكي.

أما الزخرفة والنحت من الفنون الجميلة في الدولة الدوستكية، فلم نجد لهما أثراً سوى ما كان على سور دياربكر. كما إن الزخرفة توجد على سور فارقين والجامع الكبير في فارقين. وكذلك على قصر نصرالدولة، الذي بناه سنة (٤٠٣هـ = ١٠١٢-١٠١٣م). وقد ذكر الفارقي في الصفحة (١٠٨) أنه زوق القصر (أي نقشها بالزخارف) وأجرى في حيطانه وسقفه الذهب، أي كانت بعض الزخارف من الذهب. وسيأتي البحث عنهما في موضوع فن العمارة.

## الإقطاع

لقد كان الإقطاع موجوداً في الدولة الدوستكية، فمثلاً أن قرية العطشى، التي ما زالت موجودة بهذا الاسم في منطقة فارقين، كانت إقطاعاً إشتهرها نصرالدولة من بعض الإقطاعيين لا من الفلاحين وجعلها وقفاً على الفقراء. وكذلك قرية بني نوح، التي إشتهرها التاجر ابن البهات وجعلها وقفاً على حصون آكل واليماني والجاتره، كانت من الأراضي الإقطاعية ومعروضة للبيع (١). أما هتاخ (أنتاخ، عتاق)، فكانت إقطاعاً لشيروه أقطعه إياها ممد الدولة (٢)، كما أعطى أخاه الأمير أحمد (نصرالدولة) قرية (سعد) على سبيل الإقطاع (٣). وفي عهد نظام الدين، كانت (أرزن) إقطاعاً للأمير أبي الفوارس أحمد بن شبل بن إبراهيم زوج الأميرة زبيدة بنت نصرالدولة (٤). كما كانت بدليس إقطاعاً من نظام الدين للأمير هبة الله بن موسك بن محمد بن كهك (٥) الذي وكان من العائلة

(٩) الفارقي، ص ١٢٢. وفي كتاب للأستاذ محمد توفيق ووردي "نماذج التراث الشعبي الكردي" ذكر لأسماء (٢٤) رقصة كوردية لدى الكرد الكرمانج. راجع ص ١٣٧ منه.

(١٠) ابن سعيد المغربي، كتاب الجغرافيا، ١٧١.

(١) الفارقي، ص ١١٥، ١٦٧.

(٢) نفس المصدر، ص ٨٨ ورد إسمه شيروين في كتاب الأزمنة، لإيليا برشنايا ورقة ٤٩ باللغة السريانية. نسخة مخطوطة محفوظ في مكتبتي.

(٣) نفس المصدر، ص ٩١.

(٤) نفس المصدر، ١٨٠.

(٥) نفس المصدر، ص ٢٠٣.

المروانية الحاكمة. كما منح نظام الدين أخاه الأمير سعيد إقطاعاً كثيراً<sup>(٦)</sup>. وهكذا أعطانا الفارقي نماذج كافية من الملكيات الإقطاعية في كردستان في العهد الدستوري. أما طبيعة هذا الإقطاع، فلا بد أنها لا تختلف بصورة عامة عن طبيعة الإقطاعات التي كانت موجودة في الدول الإسلامية في ذلك العصر. وقد كان للإقطاع أنواع مختلفة هي:

١- إقطاع عن طريق إحياء الأرض الموات: أي التي لم تُستغل مطلقاً أو استُغلت في زمن ما، ومن ثم تُركت بعده ونُسي صاحبها. وقد اختلفت المذاهب الفقهية في تملك هذا النوع من الإقطاع.

٢- إقطاع إستغلال (الطعمة): وهو أن يقطع الملك أرضاً لأمير أو غيره يستغلها مدى حياته حتى إذا مات إسترجعت بعده..

٣- إقطاع إيفار: وهو عبارة عن ضيعة ممتازة يحميها الملك من العمال بحيث تُعامل بصورة إستثنائية ويُفرض عليها سنوياً مقدار معلوم يؤدي إلى خزينة الدولة.

٤- الإقطاع العسكري: كان الإقطاع من حيث التملك يختلف بعضه عن بعض، فمن الإقطاعات ما كان وراثياً ينتقل إلى ورثة الإقطاعي بعد مماته، ومنها ما كان لمدى الحياة تسترجعه الحكومة بعد وفاته، ومنها ما كان وقتياً ومرهوناً بإخلاص صاحب الإقطاع للحكومة وبقائه في منصبه<sup>(٧)</sup>.

لقد نشأ الإقطاع في كردستان في العهود السابقة، ولهذا فإن بعض الأراضي السلطانية والأميرية التي كانت من نوع (إقطاع الإجماع)<sup>(٨)</sup> أمست في حوزة الدولة الدستورية. فكانت تقطع قسماً منها لمن تشاء ويبقى القسم الآخر تحت سيطرتها المباشرة، وتعطيها للفلاحين كي يستغلوها بطريق (المقاسمة) بالنصف أو بأقل منه في أغلب الأحوال. وقد ورثت الدولة الدستورية هذه الإقطاعات من الدولة البويهية، علماً أن الكثير من الأراضي الزراعية من الملكيات الخاصة تحولت إلى ملكيات إقطاعية في عهد الحمدانيين، الذين إستولوا عليها وأخذوها من الفلاحين بأساليب مختلفة، كقسم

(٦) نفس المصدر، ص ١٨١.

(٧) راجع القاضي أبو يعلى، الأحكام السلطانية، ص ٢١٢-٢١٣. مجلة المجمع العلمي العراقي، مجلد ٢٠، مقالة بعنوان نشأة الإقطاع في المجتمعات الإسلامية للدكتور عبد العزيز الدوري. الدكتور حسن أحمد محمود وأحمد إبراهيم، العالم الإسلامي في العصر العباسي، ص ٢١٧. القلقشندي، صبح الأعشى، ج ١٣، ص ١١٣، وفيه أن لإقطاع الإستغلال حالات ثلاث منها أنه يبقى لورثة الإقطاعي بعد وفاته. علي أمير، مختصر تاريخ العرب، ص ٣٧١. جرجي زيدان، التمدن الإسلامي، ج ٣، ص ١٢٢، مجلة المورد، مجلد ٤، عدد ١، ١٩٧٥، مقال بعنوان التنظيم العسكري عند البويهيين في العراق. إيران، بقلم المستشرق س. أي. بوزوروث.

(٨) إقطاع الإجماع هو أن يسجل الفلاحون أراضيهم بإسم الملك أو أحد الأمراء تخلصاً من ظلم عمال الحكومة، الذين يجمعون الخراج السنوي ويأخذون منهم معظم حاصلاتهم. وبهذا كانوا يصبحون مزارعين بدون أرض، كما سجل أهل زنجيان أراضيهم بإسم والي القاسم بن الرشيد، فكانوا يدفعون له العشر. وكما سجل سكان مراغة في أذربيجان أراضيهم بإسم مروان بن محمد الأموي. ويسبب ظلم العمال، فإن قسماً كبيراً من الأراضي الزراعية تحولت بهذه الطريقة من أراض زراعية إلى ضياع سلطانية خاصة. راجع جرجي زيدان، التمدن الإسلامي، ج ٣، ص ١٢٢. راجع ما يأتي بهذا الصدد في موضوع الزراعة.

أراضي نصيبين<sup>(٩)</sup>. وإستولت الدولة البويهية على إقطاعات الحمدانيين. ويحتمل أن الإقطاع العسكري<sup>(١٠)</sup> نشأ في الدولة البويهية وأخذته الدولة الدوستكية عن الدولة البويهية. ومن المحتمل أن الدولة أقطعت بدليس للأمير أبي الفوارس وأرزن للأمير هبة الله على سبيل الإقطاع العسكري.

(٩) راجع ما يأتي بهذا الصدد في موضوع الزراعة.

(١٠) الإقطاع العسكري هو أن يقطع الملك ضياعاً أو مقاطعة كبيرة أحياناً لأحد الأمراء مقابل إرساله مقداراً من المال الى خزينة الدولة سنوياً، ومقابل إعطائه رواتب ونفقات الجنود، الذين يقودهم لنصرة الحكومة عند الضرورة، في تلك المقاطعة. ومن هذا الإقطاع تلك الأراضي التي تعطى للجنود أنفسهم. وكان الإقطاع العسكري موجوداً في الدولة الساسانية قبل الإسلام، أما في العهد الإسلامي، فتذكر المصادر التاريخية بأن الإقطاع العسكري نشأ في العهد البويهي وإستكمل في العهد السلجوقي في القرن العاشر والحادي عشر للميلاد، حيث كانت الدلة السلجوقية توزع المناطق التي تحتلها على الأمراء وقادة الجيش وتصبح المدن والمناطق إقطاعات لهم يتصرفون بها تصرفاً مطلقاً بالسلب والنهب، كما فعلوا ذلك بالبلاد الدوستكية إثر إحتلالها.



## الفصل الرابع

### الديانات

#### الديانة الإسلامية

#### الديانة المسيحية

#### الديانة اليهودية

#### الديانة الزردشتية

كانت هذه الديانات الأربعة موجودة في كُردستان الوسطى في عهد الدولة الدوستكية. وبالنظر لوضوح كيفية إنتشار الديانة الإسلامية، لا حاجة بنا الى البحث عنها، ولكن نبحت عن التشيع فيها. أما الديانة اليهودية، فقد دخلت كُردستان مع المهاجرين من اليهود، الذين رحلتهم الدولة الآشورية من فلسطين الى كُردستان كما سلف في موضوع الحياة البشرية، فلا حاجة بنا لهذا الى البحث عنها أيضاً. أما الديانتان المسيحية والزردشتية، فأرى البحث عنهما ذا فائدة غير قليلة، علماً أن البحث عن الديانة الزردشتية في كُردستان الوسطى في العهد الدوستكي غير مطروق أيضاً.

### التشيع

كان التشيع كمذهب موجوداً في كُردستان الوسطى في عهد الدولة الدوستكية، ولو على نطاق ضيق، لما نجد له أثراً في عهدها. فالأمير (البهتي) أبو عبدالله حسين بن داود البشنوي، الذي وصفه ابن الأثير بشاعر بني مروان (الدوستكيين)، كان شيعياً من فرقة الإمامية (الإثنى عشرية)<sup>(١)</sup>، وله أشعار كثيرة في التشيع. ولهذا إعتبره مؤرخو الشيعة أحد أعلامهم وشعرائهم ودونوا له قصائد عديدة في هذا المجال، لاسيما (ابن شهر آشوب) المتوفي سنة (٥٨٨هـ = ١١٩٢م)، والقريب من العصر البشنوي. ولا حاجة أن ندرج هنا قصائده بهذا الخصوص، بل يكفي الإستدلال بالبيت التالي، الذي ورد في إحدى المقطوعات الكثيرة الواردة في كتاب المناقب لابن شهر آشوب، ثم نقله عنه آخرون مثل السيد محسن العاملي في (أعيان الشيعة، ج٢٦، ٢٨-٣٣). والبيت هو:

(١) كانت للشيعة فرق كثيرة مختلفة تزيد على الخمسين، ولكنها تتجمع في خمس فرق رئيسية هي: الإمامية والزيدية والإسماعيلية والكيسانية والغالية. وكل فرقة منها تنقسم الى فرق عديدة. فالغالية مثلاً، أي الفرقة التي تغالي في الأئمة وتحكم فيهم بأحكام الألوهية، تنقسم الى (١١) فرقة عند الشهرستاني و(١٥) عند أبي الحسن الأشعري و(٢٤) عند شاه عبدالعزيز الدهلوي صاحب كتاب التحفة الإثنى عشرية. ولم يبق الآن إلا عدد قليل منها، وأكثرها إنتشاراً الآن هي (الإمامية) التي تعتبر المذهب الرئيسي للدولة الإيرانية.

"أتيت ربي بالهدى متمسكاً بإثني عشر بعد النبي مراتباً

وله مقطوعات في (الذريعة الى تصانيف الشيعة، ج ١، ص ٢٥٤. تأليف آغا بزرك الطهراني). ومن الطبيعي أن نتوقع من الأمير الشاعر محاولة نشر عقيدته أيضاً، سيما وأنه كان يمتلك إمكانية نشرها بفضل مركزه الاجتماعي المرموق كأمر بارز وشخصية مقربة من الأسرة الدوستكية الحاكمة، وبفضل مكانته العلمية والأدبية وبفضل قصائده الرقيقة المؤثرة وكان شاعراً مقلداً.

أما العالم الكردي يحيى بن سلامة الحصكفي خطيب فارقين، فكان هو الآخر يعتقد بمذهب الشيعة الإمامية وله قصائد في التشيع. وقصيدته الدالية التي توجد في (المنتظم) وفي (البداية والنهاية) وغيرهما، خير دليل على ذلك. فقد نظم تلك القصيدة في مدح أهل البيت ومقتل الحسين وذكر أسماء الأئمة الإثني عشر. وبعد ذكره لأسماء الأئمة الإثني عشر صرح باعتقاده بإماميتهم وكونهم حجة الله على خلقه... حيث قال:

فلا يظن رافضي أنني وافقته أو خارجي مفسد

ولكن مع هذا كان الحصكفي شافعي المذهب. والجدير بالذكر أن مؤرخي الشيعة يعتبرونه أيضاً من مشاهير الشيعة، ولذا نجد له ترجمة في تواريخهم. ومما تجب الإشارة إليه، هو أن الحصكفي قد أدرك العهد الدوستكي، ولكنه كان تلميذاً وظهر نبوغه بعد سقوطها (٢).

(٢) ولد يحيى بن سلامة بن حسين في قرية طانزه (بلدة طنزة)، الواقعة في القسم الشمالي من بوتان، وذلك سنة (٤٦٠هـ = ١٠٦٨م). وسكن مدينة فارقين وتولى الخطابة فيها وأصبح مفتياً. نشأ في بلدة حسنكيف (حصن كيفا)، ولقب الحصكفي نسبة الى مدينة حصن كيفا في إقليم ديار بكر. لقد كان الحصكفي من كبار مشاهير عصره لا في الشعر والأدب والخطابة فحسب، بل في الفقه واللغة وعلوم أخرى أيضاً. وقد وصفه عماد الدين الكاتب الاصفهاني بمعري عصره وأطنب في وصفه وأبدى إعجابه به، ودون ترجمة له في (خريدة القصر، ج ٢، ص ٤٧٢، ٥٤٠)، أي في ثمان وستين صفحة، وأورد كثيراً من قصائده ومقتطفات من رسائله. ولم يكن الحصكفي من الطراز الأول في الشعر والأدب فقط، بل كان مبتكراً لكثير من التعابير في هذا المجال أيضاً. وكان له أسلوب خاص في الشعر ومذاهبه كما قال العماد، وإستدل على ذلك بمقطوعته الخمرية، التي شاعت في حياته في العراق واصفهان وبلاد أخرى والتي أولها:

وخليع بت أعزله ويرى عزلي من العبت

وله مقطوعة شعرية يقول فيها:

أشكو الى الله من نارين واحدة في وجنتيه وأخرى منه في كبدي

ومن سقمين سقم أحل دمي من الجفون وسقم حل في جسدي

أعطاه المؤرخون مكانته اللائقة في التاريخ ووصفوه بما يستحقه. ومن هؤلاء ابن الجوزي الذي أدرك عصره، حيث قال: "هو إمام فاضل في علوم شتى وكان ينسب الى الغلو في التشيع". وللحصكفي من المؤلفات: عمدة الإقتصاد في النحو، والرسائل، وديوان خطب وديوان شعر. وكان يوجد له ديوان شعر مخطوط في جامع الباشا بالموصل. وله أيضاً كتاب المقامات. وذكر ابن الجوزي أنه لما ورد الى بغداد قرأ شيئاً من مقاماته على أبي زكريا التبريزي، المتوفى سنة ٥٠٢هـ، فكتب التبريزي على كتابه: "قرأ علي ما يدخل الأذن بلا إذن" أي إعجاباً منه بمقاماته. ويقال أنه قرأ الأدب على التبريزي تلميذ المعري. وذكر الاصفهاني له مقامة طويلة أولها "كنت لفرط الهيام في بعض الأيام صدري ضيق وفؤادي شيق". أنشأ على لسان "القصار والصيد" وكتبها الى بعض القضاة كرسالة الى الحضرة القاضية والشامائل الرضية، ولعلها هي مقاماته التي ذكرها ابن الجوزي أو جزء منها. هذا وإشغلت الخطيب يحيى =

ونقف بعد العهد الدستوري بفترة قصيرة على إنتشار المذهب الإسماعيلي الشيعي (٣) في دياربكر، ونرى كثرة معتنقيه. فقد ذكر المؤرخون أن في سنة (٥١٨هـ = ١١٢٥م) حدثت مذبحة في مدينة دياربكر، كانت نتيجتها قتل سبعمائة رجل من الإسماعيلية (٤). وفي الوقت الذي قال عدد من المؤرخين إن الذين قاموا بالمذبحة هم سكان دياربكر (٥)، أي إن القتال حدث بين السنة والشيعية الإسماعيلية، قال الذهبي أن الجيش هو الذي قام بالمذبحة في مدينة دياربكر والمناطق التابعة لها (٦). وفي نفس السنة مات حسن بن الصباح صاحب قلعة (الموت) في إيران، ومؤسس الفرقة الإسماعيلية النزارية، وكان هذا ينظم الدعوة الإسماعيلية في إيران وسورية ودياربكر (٧)، أي إنه كان ينظم الدعوة في كردستان أيضاً. إن الحادثة المذكورة التي وقعت بعد الدولة الدستورية بأربعين سنة بالضبط تدل على مدى إنتشار الشيعة الإسماعيلية في دياربكر. وأن هذا الإنتشار لم يحدث بين عشية وضحاها. والأكثر توقعاً أن بدايته تعود الى العهد الدستوري إن لم تكن قبله، لاسيما إذا علمنا أن الدولة الفاطمية في مصر والشام كانت دولة إسماعيلية وعملت على توسيع مذهبها في البلدان الواقعة شرقي الأبييض المتوسط. وكانت لها علاقات صداقة مع الدولة الدستورية، إلا في فترة أشرنا إليها سابقاً. ولا أرى أن الدولة الدستورية كانت تكافح مذهبها وإعتناق بعض أفراد شعبها إياه، في حين أنه دخل معظم مدن المنطقة سراً أو علناً. ومن المحتمل أيضاً بأن التشيع قد دخل كردستان في عهد الدولة الحمدانية الذي سبق العهد الدستوري، حيث إن الحمدانيين وعلى رأسهم سيف الدولة كانوا يميلون الى التشيع. لذا سمحوا بإنتشاره في البلاد التي تحت حكمهم "ودخل الشيعة حلب قبل عهد الحمدانيين وإنتشر وقوي في عهدهم" (٨).

ومن غير المعقول أن نقول أن الشيعة لم تدخل كردستان، في حين إنها دخلت الأراضي المتاخمة لها جنوباً وغرباً. فقد "إرتفع شأن الشيعة بالحمدانيين في الموصل وحلب، وكان أهل حلب سنةً حنفيّة، ولما

=بن سلامة بالتدريس في فارقين أيضاً، فدرس وتخرج عليه كثير من العلماء. ومن تلامذته المشاهير الأعلام سلامة بن قيصر السنجاري، وعسكر بن أسامة النصيبي، وخضر بن ثروان. وتوفي في فارقين سنة (٥٥٣هـ = ١١٥٩م) عند معظم المؤرخين. وكان له ابن فاضل وهو الخطيب (مجد الدين أبو عمران موسى)، ذكره أسامة بن منقذ في (كتاب العصا) وإجتمع به في ضاحية فارقين، وقال أنه توفي سنة (٥٦١هـ = ١١٦٧م). وكان أخوه أبو محمد حسن بن سلامة أيضاً عالماً. أما والده أبو نصر سلامة، فيظهر من قصيدة يحيى التي أرسلها الى أخيه يعزبه عن أبيه، أنه من كبار العلماء. وهذه القصيدة وقصائد أخرى في (المنتظم) لابن الجوزي، ج ٩، ص ١٩٣-١٨٨. وله ترجمة في العديد من المصادر التاريخية، كمشاهير الكرد وكردستان، ج ٢، ص ٢٢١ لمحمد أمين زكي وغيره.

(٣) الإسماعيلية فرقة من فرق الشيعة تقول بإثبات الإمامة لإسماعيل بن جعفر الصادق، ومن هنا إفتقرت عن الإثنى عشرية. وإشتهر الإسماعيلية بالباطنية أيضاً، لأنهم يقولون أن لكل ظاهر باطناً، ولكل تنزيل تأويلاً، كما عرفت بالقرامطة والمزدكية. ويوجد الآن معتنقو هذا المذهب في سورية ولبنان وإيران وباكستان وغيرها.

(٥) ابن الجوزي، المنتظم، ج ٩، ص ٢٤٩. ابن الأثير، الكامل، ج ٨، ص ٣١٧. ابن خلدون، العبر، ج ٥، ص ٢٢٦.

(٦) الذهبي، دول الإسلام، ج ٢، ص ٣١.

(٧) مصطفى غالب، تاريخ الدعوة الإسماعيلية، ص ١٦٩.

(٨) محمد جواد مغنیه، الشيعة والتشيع، ص ٢٢٠.

جاء سيف الدولة صار فيها شيعة وشافعية" (٩). فكما إن حلب والموصل كانتا عاصمتين للحمدانيين، كذلك أصبحت مدينة فارقين عاصمة سيف الدولة، بعد إحتلال البيزنطيين لعاصمته (حلب) ولم يرجع الى حلب، بل ظل في فارقين الى أن مات فيها.

إن الدولة الدوستكية وإن كانت سنية المذهب، إلا أنها لم تكن متعصبة له ولم تكن ضد الشيعة، فأحد وزرائها كان شيعياً، وهو الوزير أبو القاسم حسين بن علي المغربي. وكانت الدولة الكردية ديمقراطية تجاه الأديان والمذاهب الأخرى. أما مذهب (علي إلهي) الذي كان يعتنقه قسم كبير من الكُرد، وخصوصاً كُرد زازا من كُردستان تركيا من ولاية دياربكر وولاية تونجلي (ديرسم) وألعزير وغيرها، فراجع ما كتبناه في موضوع الحياة البشرية.

### الديانة المسيحية

إن تاريخ إنتشار الديانة المسيحية في كُردستان يعود الى القرن الأول للميلاد، فقد وصلت الى كُردستان في عهد المسيح. والذي قام بالتبشير بها ونشرها هو مار أدي "تداوس" تلميذ المسيح، وذلك حينما أرسله الى مدينة الرها (أورفا) حوالي سنة (٢٩م)، وكانت عاصمة الملك أبجر الخامس، الذي كانت حكومته آنذاك جزءاً من الإمبراطورية الفرثية (١).

ولما شفى الملك أبجر المريض على يد أدي، إعتنق الديانة المسيحية مع عدد كبير من سكان عاصمته. واصل مار أدي رحلته شرقاً، فبشّر بالدين الجديد في نصيبين وأشور وحدياب (٢)، التي مركزها مدينة أربيل. وكان لأدي عدة تلاميذ منهم ماري وأكاي. وجاء في تاريخ أربيل لمشيحا زخا (القرن السادس الميلادي)، أن أدي بشّر بالإنجيل في حدياب (٣). وأول من تنصّر، أي آمن

(٩) نفس المصدر، ص ١٨٦.

(١) الرها هي مدينة أورفا الحالية، وهي إحدى المدن الكُردية الواقعة في كُردستان تركيا. بلغ نفوسها (٧٣) ألف نسمة حسب الإحصائية التركية لسنة ١٩٦٥. وهي مدينة تاريخية قديمة كان إسمها باليونانية (أدسا - أوديسا) وبالسريانية (أورهاي) وبالأرمنية (أورهي). فإسم أورفا منحدر من الإسم السرياني، وكانت عاصمة لمملكة صغيرة عُرفت ببلاد (أوسرهوين). وقد أسست دولة (أوسرهوين) الصغيرة قبل (١٣٣) سنة قبل الميلاد ودامت (٣٥٢) عاماً وهناك خلاف حول بدايتها ونهايتها وأول ملوكها هو (أورهاي برحوبا) وقيل (اربو). وكانت مملكة أوسرهوين تقع في منطقة الحدود، والنزاع بين الفرس والرومان. فكانت تخضع للجانب المنتصر منهما حسب الظروف. وكان ملوكها إرتباط مصاهرة قوية منذ أواخر القرن الأول للميلاد بدولة (أديابين) التي كانت تحكم آنذاك مدينة نصيبين حتى منطقة كركوك وكانت عاصمتها أربيل. وكان اليونان يسمونهم طورباخ أو فولارخ. أما سكان أورفا قبل إعتناقهم المسيحية، كانوا يعبدون الكواكب مثل سكان حران كما كان على نقود دولة أوسرهوين قبل المسيحية رسم القمر والكواكب الثلاثة رمزاً لعقيدتهم. راجع دائرة المعاف الإسلامية، ج ١، ص ٢٦٦ وإيشو مالك خليل، الآشوريون في التاريخ، ص ٧١. أدرجنا صورة المدينة وصورة مقام إبراهيم الخليل في الجزء الأول، ص ٢٠٤، ٢٠٨.

(٢) أفرام برسوم، المورد العذب في موجز تاريخ الكنيسة، ص ٢٩، ٩٣. إيشو مالك، الآشوريون في التاريخ، ٦٩، ٧٠. راجع أيضاً بطرس نصري الكلداني، ذخيرة الأذهان في تواريخ المشاركة والمغاربة السريان، ج ١، ص ٣٦.

بالمسيحية، في أربيل على يد أدي كان يهودياً إسمه (بقيدا)، الذي أصبح مطراناً عليها بعد أن تنصر أناس من سكانها ومن سكان جبال أربيل(٤).

وسافر أدي وبرفقته تلميذه ماري الى بيت كرماي (منطقة كركوك)(٥) ونشر المسيحية هناك. ولما توفي أدي تداوس خلفه تلميذه أكاي، الذي قتل بأمر من ابن الملك أبجر، الذي تولى الحكم بعد وفاة والده وكان متعصباً للوثنية. وكان (أكاي) أول من تولى أسقفية الرها. أما ماري فقد أصبح أكبر مبشر بالمسيحية في كُردستان بعد وفاة أستاذه، ومما بشر فيها أرزون (أرزن - غرزان)، حيث كانت مركز إقليم دياربكر ونصيبين آنذاك(٦). وجعل ماري أخيراً مركز تبشيره في ساليق، أي عند المدائن في (سلمان بك) في العراق. وكان له عدة تلاميذ من بينهم (توماس) و(فيليبوس)، وقد فوض إلى الأول مهمة التبشير في داسان(٧)، أي جبال داسن في منطقة بهدينان، وعلى رواية في زوزان وكوار

(٣) حدياب إسم أطلق على المنطقة الواقعة بين الزاب الكبير والزاب الصغير وبين نهر دجلة وحدود أذربيجان الجنوبية، أي على منطقة أربيل. وسماها العرب (حزة). وحسبما ورد في دائرة المعارف الإسلامية، ج١، ص٥٧٨، أن لفظ حدياب متدرج من إسم أديابين التاريخي القديم. وعند بعض المؤرخين القدامى، كالمؤرخ البيزنطي أميانوس، تشمل أديابين أيضاً منطقة الموصل. حيث أطلقها على بلاد آشور وإسم حدياب عنده مشتق من إسم نهر حدياس. راجع مجلة سومر مجلد ٢٦ ج١ ص١٤٣: مقال للدكتور سامي سعيد الأحمدى بعنوان: العراق في كتابات اليونان والرومان. وسعيد نفيسي: تاريخ تمدن إيران ساساني، ص٣٧ باللغة الفارسية. وطه باقر وفؤاد سفر: المرشد الى مواطن الآثار، الرحلة الخامسة، ص٤.

(٤) ميشحا زخا: أحوال كنيسة أربيل، مخطوط سرياني قديم نشره بطرس عزيز مطران زاخو في مجلة النجم، راجع عدد ٩-١٩٢٩ و٨ من نسخة ابن المترجم التي أهداها بطرس عزيز للباحث الكبير المرحوم كورجيس عواد وعندى نسخة مصورة عليها.

(٥) بيت كرماي: وبارما إسم سرياني للمنطقة الواقعة بين الزاب الصغير ونهر ديالى، وبين جبل أوروخ (سلسلة جبل حمرين - جبل بارما) وجبل لارب وشنعار، وقاعدتها كرخ سلوك (كركوك). وورد الإسم أيضاً بصيغة باجرمي وياجرمق وهي تعريب باكرما. ويعتقد أن باجرمي مشتق من لفظ كرمكان، الذي كان يطلق على المنطقة نفسها في لغة فارس الوسطى. وهذه الصيغة مشتقة من إسم كرمو (كهرمو)، وهم قوم رحل ورد ذكرهم في النقوش السامرية وفي كتاب بظليموس، كما في دائرة المعارف الإسلامية، ج٢، ص٢٥٩. أما جبل لارب فهو (سلسلة جبال بازيان) وأما شنعار فسلسلة جبال (سه گرمه) الحد الجنوبي لمنطقة قهره داغ. هذا وإذا صح أن الفرس كانوا يطلقون في العصور المسيحية إسم كرمكان - كهرمكان - على منطقة كركوك، فإن هذا الإسم مازال حياً في كُردستان، إذ يطلق الكُرد إسم كهرميان على نفس المنطقة، والحقيقة أنه جاء من إسم القوم (كهرمو) وليس من الكلمة الكُردية (كهرم) بمعنى الحار، نقبض (كوتستان - زوزان) الذي يطلق على المناطق المعتدلة صيفاً والتي تترادها القبائل الرحل على ما يتوهمه الكثيرون. راجع بصد بيت كرماي إيشو مالك خليل، الآشوريون في التاريخ، ص٩٧ وروفاثيل بابو إسحاق، تاريخ نصارى العراق، ص١١ وكتابتنا، المنهج التاريخي لكتابة تاريخ المدن، مخطوط. هذا وفي المصادر المسيحية أسماء أماكن تاريخية في منطقة باكرما: مثل (شهر قرد - شهر كرد)، (حر بغلال) في ناحية لارب شرق كركوك أو (دراباد) و(لاشوم) قرب داقوق، و(تحل) جنوب غرب كركوك، و(ماحوزأريون- ماحوز أرنون) وهي بوازيح على ضفة الزاب. وبيت نيكاتور في شمال كركوك في خانيجار، و(بوزان) ومحلها مجهول.

(٦) في المورد العذب في موجز تاريخ الكنيسة، ص٩٣ لأفرام برصوم: أن أدي أدخل المسيحية في إقليم دياربكر وحتى حدود الجزيرة أي (بازيدا).

(گهفهري) (٨)، بينما فوّض الأخير مهمة التبشير في قردو أي (بوتان) وأرمينيا (٩). وهكذا بدأت الديانة المسيحية تنتشر في كردستان منذ القرن الأول للميلاد. ونشأت في كردستان ثلاث مراكز مهمة لنشر الديانة المسيحية، ليس فيها فحسب بل في البلدان الأخرى أيضاً كبلاد فارس، وهي: الرها ونصيبين وأربيل. ولمدينة الرها (أورفا) مكانة مرموقة في التاريخ المسيحي، لما أسلفنا ولأن اللهجة الآرامية السريانية الشرقية، التي أصبحت اللغة الدينية للمسيحيين في كردستان العراق وإيران والبلدان الشرقية الأخرى، قد إنطلقت من أديسا (الرها). كما إن الكتاب المقدس (الإنجيل) قد كُتب ونُقل بالسريانية السائدة في أديسا أيضاً (١٠). وكان لمدرسة أديسا فضل كبير في هذا المجال، إذ كان يؤمها الطلاب من أقطار شتى. وكان أكثر أساقفة الفرس من خريجيها. وقد تم في تلك المدرسة ترجمة كتب يونانية إلى اللغة السريانية (١١)، وأدخلت على منهجها السرياني في القرن الخامس الميلادي تعليم اللغة اليونانية والفلسفة وسميت أثينا سورية (١٢).

(٧) داسان كما تحددها المصادر الإسلامية هي جبال داسن الواقعة شمال شيخان وأطلق على اليزيديين إسم الداسنيين كما سيأتي ذلك. ولا بد من الإشارة إلى أن بعض المؤرخين أطلقوا إسم جبال داسن على كافة الجبال الواقعة بين شيخان والعمادية. أما المصادر الكنسية فتطلق (دسان - داسان) العليا على الجبال الهكارية الواقعة جنوب (گهفهري)، وبضمنها منطقة تيارى كما في (مجلة الشرق، مجلد ١٢، ص ٥٠٠)، فكانت داسان العليا وداسان السفلى. وداسان السفلى هي منطقة بهدينان وهذا التحديد أو التقسيم الكنسي يقابله في المصادر الإسلامية القديمة هكاري العليا - كلها تقريباً - وهكاري السفلى أو الجنوبية، أي منطقة بهدينان الحالية حتى القرن الثاني عشر. أما أصل كلمة (داسان) فمن (ديوسنا، ديوهسنا) أي عبادة الديو (دئو) أي أهرمين. وكان عند الأريين قبل زمن زردشت ديانتان رئيسيتان هما (مزديسنا) أو (مهزديهسنا) بالإملاء الكردي، أي عبادة الإله العاقل وإله الخير والنور. وكانت عبادته منتشرة بين الحضرة سكان المدن وبين الفلاحين. بينما كانت عبادة (ديو - أهرمين - الشيطان) أي إله الشر والظلام منتشرة بين القبائل المحاربة المتأخرة. ولما كانت ديانة القبائل الكردية في بهدينان بصورة عامة في وقت ما، أي قبل المسيحية، (ديوسنا) أي يزيديون، فقد سميت المنطقة بإسم (ديوسنا، دسان وداسان) كما سنذكر ذلك في موضوع الديانة الزردشتية. نشأ إسم داسن لتلك الجبال بعد العهد الآشوري وبعد إنتشار (ديوسنا) بين سكانها، أو بعد نزوح قبائل كوردية متدينة بهذه الديانة إليها. لأن إسمها كان جبال مسوري (مسري) على ما جاء في كتابة لسرجون الثاني (٧٢١ - ٧٠٥ ق.م) بخصوص بنائه لمدينة خرساباد (دور شاروكين) ونص الكتابة في ص ٢٢-٢٣ من (بلاد آشور) لأندريه بارو، ترجمة الدكتور عيسى سلمان وسليم طه التكريتي، طبع بغداد ١٩٨٠. وما زال إسم (مسوري - مزوري) يطلق على قبيلة كوردية كبيرة هناك.

(٨) الأب ألبير أبونا، تاريخ الكنيسة الشرقية، ج ١، ص ١٩.

(٩) إيشو مالك، الآشوريون في التاريخ، ص ٧٠. المقصود ب(كردو) هو على ما في المصادر الكنسية (قردو - قردا)، وهي منطقة سلوبي والجودي وبوتان، وليست كردستان كلها.

(١٠) نفس المصدر، ص ٦٠.

(١١) دي لاسي أولبري، علوم اليونان وسبل إنتقالها إلى العرب، ص ٦٥، أفرام برصوم، المورد العذب، ص ٣٢٩.

(١٢) أنشأ مدرسة الرها اللاهوتية مار أفرام مدرس مدرسة نصيبين، الذي فر منها بعد إحتلال الفرس لها سنة (٣٣٦م). ونشأ منها كثير من العلماء وإشتهر فيها أساتذة، مثل هيبيا وإسمه في اليونانية إيباس، الذي ترجم كتاب (إيساغوجي فور فورسيون) إلى السريانية، وكان المدخل إلى المنطق، كما ترجم كتاب العبارة لأرسطو، وذلك في النصف الأول من القرن الخامس الميلادي. بخصوص مار أفرام ومدرسة الرها، راجع (مهرجان أفرام وحنين) من مطبوعات مجمع اللغة السريانية ببغداد ١٩٧٤، والكتاب يحتوي على مجموعة من البحوث التي كتبها مجموعة من الباحثين الشرقيين والمستشرقين بمناسبة مهرجان أفرام وحنين، الذي أقامه المجمع المذكور في السنة المذكورة. راجع أيضاً البطريك يعقوب الثالث، الحقائق الجلية، ص ١١.

أما نصيبين (نصيبين)، فقد أصبحت منذ أوائل القرن الرابع مركزاً للكرسي الأسقفي. وتوسع نفوذها بمرور الزمن، حتى صارت المركز الديني الأعلى في كُردستان الوسطى، من سنجار الى مكس وخلاط، أي حتى السواحل الشمالية لبحيرة وان. فقد أصبحت كرسياً ميترولوجياً ومركز أبرشية تدعى (أبرشية بيت عريابي) وكان يتبعها عشرون كرسياً أسقفياً<sup>(١٣)</sup>.

وكانت نصيبين تضم مدرسة ذات شأن خطير أنشأها الأسقف يعقوب، الذي خلف الأسقف الأول يهوذا بن باثيرا. وقد أنشأ يعقوب المدرسة على نمط مدرسة الإسكندرية، لتكون مركزاً لنشر اللاهوت اليوناني بين المسيحيين. وتوسعت حتى أصبحت في القرن الخامس أكبر مدرسة نسطورية عملت على نشر المذهب النسطوري في كُردستان العراق وإيران وغيرهما من بلدان الشرق. وبلغ عدد طلاب تلك المدرسة أحياناً ما لا يقل عن ثمانمائة طالب من أقطار عديدة. وكانت تضم أيضاً مستشفى (بيمارستان) في القرن السادس الميلادي<sup>(١٤)</sup>.

ويظهر أن نصيبين ظلت كرسياً ميترولوجياً للنساطرة حتى عهد الدولة الدوستكية. فقد كان المطران يقيم فيها في عهدها. ولكن لانعلم هل كانت كافة المراكز المسيحية النسطورية في البلاد الدوستكية تابعة لها أم لا؟ وكان مطرانها في عهد نصرالدولة (إيليا بن عيسى)، الذي كان يتمتع باحترام فائق في الدولة الدوستكية، ولاسيما وإنه كان أخصاً للطبيب زاهد العلماء أبي سعيد منصور بن عيسى رئيس أطباء الدولة الدوستكية ومدير مستشفى فارقين، وكان عالماً كبيراً ومؤرخاً أيضاً.

إن البحث عن الديانة المسيحية في كُردستان في العهد الدوستكي يجرنا الى مناقشة مسألة هامة، وهي إن قسماً غير قليل من الكُرد إعتنق الديانة المسيحية ومن ثم إنتشار تلك الديانة في كافة مناطق كُردستان. إذ تذكر المصادر المسيحية القديمة بأن الديانة المسيحية إنتشرت في ماداي وبلاد فارس منذ القرنين الأول والثاني الميلاديين<sup>(١٥)</sup>، وإن (بقيدا) قضى خمس سنوات في جبال كُردستان، في جبال أربيل، يدعو الناس الى المسيحية<sup>(١٦)</sup>.

ولاشك بأن سكان تلك الجبال لم يكونوا سوى من الكُرد، وإن أغلب المسيحيين في أربيل، كما قال الدكتور منكانا، كانوا منتمين الى أصل فارسي (بل الى أصل كُردى) وليس الآرامي. وكان بينهم كذلك أناس ينتمون الى أبوين مسيحيين كانا في الأصل ينتميان الى الزردشتية<sup>(١٧)</sup>.

وفي عام ١٩٠٩ عندما زار كونراد لويسر (دير عمر) في طورعبيدين وصف المسيحيين هناك بـ(المسيحيين الكُرد)، وذلك في (ص ٥٠ و ٥٣) من كتابه (المباني الأثرية في شمال بلاد الرافدين).

والخلاصة أنه كان في كُردستان الوسطى في عهد الدولة الدوستكية قسم غير قليل من المسيحيين

(١٣) راجع دي لاسي، علوم اليونان وسبل إنتقالها الى العرب، ص ٦٣. وإيشو مالك، الآشوريون في التاريخ، ص ٧٥. راجع أيضاً أفرام برصوم، تاريخ طورعبيدين، ص ٢٠١.

(١٤) التاريخ السعدي، ص ٥٣٠، لمؤلف مجهول، نشره أدي شير.

(١٥) أدي شير، تاريخ كلدو وآشور، ج ٢، ص ٢. يُقصد بماداي (ميديا) هنا القسم الجبلي الغربي من إيران الذي هو جزء من كُردستان.

(١٦) نفس المصدر.

(١٧) إيشو مالك، الآشوريون في التاريخ، ص ١٠٤.



كنيسة هَزَّخ

من قوميات مختلفة كالكرْد والأرمن والسريان واليونان. وكان هؤلاء حتى القرن العشرين منتشرين في كل منطقة منها. ولا يزال في ولاية ماردين في منطقة طورعبدین وفي (دهشتا ههسانان) في قضاء (ههزهخ) الواقع في غرب الجزيرة، قسم كبير من المسيحيين وهم في غاية من الشجاعة والإقدام، وقد واجهوا ببطولة فائقة الكثير من محاولات الإبادة ولاسيما سكان مدينة (ههزهخ).

### أماكن دينية (مسيحية)

كانت توجد في البلاد الدوستكية الكثير من الأديرة والكنائس، نشير الى بعضها ونبدأ بكنيسة آمد، التي كانت كنيسة كبيرة تقع بالقرب من الجامع الكبير. دخل الكنيسة الرحالة الفارسي ناصر خسرو في عهد الأمير نصرالدولة، فوجدها كنيسة غنية بالزخارف فُرشت أرضيتها بالرخام المنقوش، ورأى فيها باباً من الحديد المشبك أعجب به كل الإعجاب، وذكر أنه لم ير مثله في أي مكان آخر (١٨). وكانت في فارقين البيعة الملكية التي وجد فيها المؤرخ الكرْدستاني أحمد بن يوسف (بن الأزرق) الفارقي مخطوطة سريانية باسم (التشعيث) أُلُفت في تاريخ بناء مدينة فارقين، فإستفاد منها في تاريخه (١٩).

وقد دُفن في هذه البيعة الطبيب زاهد العلماء رئيس مستشفى فارقين وكبير أطباء الدولة الدوستكية وأخوه المطران إيليا برشنايا النسطوري. ولم أجد لها أثراً سنة ١٩٧٧. وكانت تقع شمال

(١٨) ناصر خسرو، سفرنامه، ص ٤١.

(١٩) الفارقي مقدمة الدكتور بدوي عبداللطيف، ص ١٥ نقلاً عن القسم غير المطبوع من تاريخ الفارقي.

الجامع الكبير. وفي فارقين كنيسة واحدة سالمة تقع في جنوب غرب الجامع الكبير، ولكن لم يبق فيها الآن مسيحيون.

#### دير أحويشا

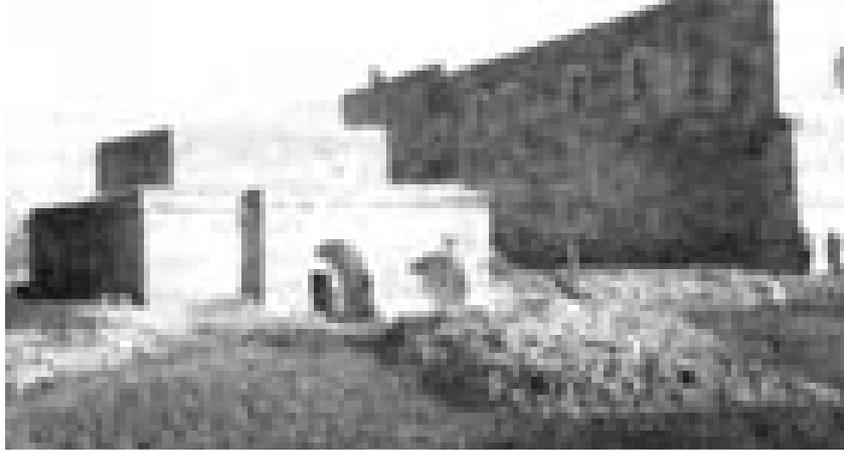
كان من الأديرة الكبيرة في كُردستان، وكان قريباً من مدينة سعرد (٢٠). شيدّه مار يعقوب، الذي عاش في القرن الخامس الميلادي. وكان من الأديرة الموجودة في العهد الدوستكي (دير مار أوجين) (٢١) ودير الزعفران (٢٢)، ودير قرتمين الذي كان من أشهر الأديرة في كُردستان، والذي تخرج منه كثير من الفضلاء المسيحيين. وكان هذا الدير في العهد الدوستكي يشتمل على مكتبة زاخرة بالمخطوطات. وهو من أديرة اليعاقبية في قرية قرتمين الشهيرة الواقعة شرق (مديات) في طورعبدین (٢٣). أما دير زقنين القريب من دياربكر، فكان ذا مكانة بارزة في العهد الدوستكي أيضاً،

(٢٠) بصدد دير أحويشا، راجع التفاصيل في الشابشتي: الديارات، ص ١٢٦، ١٤٢. وابن فضل الله العمري، مسالك الأبخار، ج ١، ص ٣١٠. وياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص ٤٩٧. عزيز بطرس، الرعاة الكلدان، ج ١، ص ١٤ مخطوط. وكتابتنا التاريخي لكتابة تاريخ المدن، مخطوط.

(٢١) يقع هذا الدير في جبال طورى (طورعبدین) الواقعة في سفح جبل أزلا (جياين هلز) / يسميه الكُرد بهذا الاسم لما بنيت فيه من نبات هلز) على بعد حوالي خمس ساعات مشياً إلى الشرق من نصيبين. وقد أنشئ في القرن الرابع الميلادي ويحمل اسم مار أوجين القبطي، الذي قدم من مصر مع أخته وبعض الرهبان إلى كُردستان، الذي نشر نظام الرهبنة فيها وفي البلاد الشرقية الفارسية. ويضم هذا الدير ضريحه وضريح أخته. وقد مرّ الدير بأدوار تجديدية، حيث رُمّم في أواخر القرن السابع أو أوائل القرن الثامن ناسك باسم إبراهيم ابن المعريين، وخلفه في رئاسته روزبهان الذي أصبح أسقفاً لنصيبين والمتوفى سنة ٧٢٦م. وجدد عمارته أيضاً في صيف ١٢٧١م من قبل عبدشوش الثالث المجلوني مطران نصيبين. ثم جدده السريان اليعاقبية وكان قبل ذلك منذ القرن السادس في يد النساطرة. وكانت تُدرّس في هذا الدير الفلسفة واللاهوت والمنطق والجغرافيا والهندسة، حيث كان فيها مدرسة إعتنق نساطرتها الكتلركة في القرن السابع عشر. راجع بحثاً للأستاذ غورگيس عواد في ذيل، ص ٢٣٨ من الديارات للشابشتي. والشماس عزيز بطرس، كتاب الرعاة الكلدان، ج ٤، ص ٣ مخطوط. وفي اللؤلؤ المنشور، ص ٥٠٨، لأفرام برصوم، أنه شُيد في أواخر القرن الرابع أو أوائل القرن الخامس الميلادي. وسبق أن ذكرنا حسب رواية أنه دفن في (دير كمون) تحت الجودي، وفي عصر أوجين هناك شك حول نشره الرهبنة للمرة الأولى في كُردستان. راجع تاريخ الكنيسة الشرقية، ص ١٧٥، ١٨٢ من الجزء الأول للأب ألبير أبونا.

(٢٢) يقع دير الزعفران على أنقاض دير وقلعة قديمين وهو مسورٌ بسور حصين. الدير مشهور بجمال موقعه حتى قيل فيه أنه أحد متنزهاة الدنيا. ولهذا ألف الشعراء: الخالدي والبيغاء ومصعب الكاتب في وصفه مقطوعات شعرية. وعظم شأن هذا الدير منذ أن أصبح كرسيّاً للبطريك اليعقوبي سنة ١٢٩٣م. فأصبح المركز المسيحي الأول لليعاقبية (أتباع المذهب اليعقوبي). ولأهميته أهدته الحكومة البريطانية سنة (١٣٠٤هـ = ١٨٨٧م) مطبعة يمكن أن نعتبرها أقدم مطبعة في كُردستان. وفي كُردستان دير آخر بهذا الاسم وهو دير الزعفران (الزعفرانية) الواقع في السفوح الجنوبية لجبل بيخير بمنطقة زاخو. وقد زرتّه وصورت آثاره في ١٩٩٩/٩/٢٢. كانت الزعفرانية معسكراً بيزنطياً مهماً، وقد كتبت مقالاً عنه ولكن لم أنشره بعد. هذا وقد ألف في تاريخ دير الزعفران أفرام برصوم كتاباً بعنوان (نزهة الأذهان في تاريخ دير الزعفران)، وقد طبع بمطبعة الدير نفسه سنة ١٩١٧. وألف أيضاً الراهب أيوب الأمدى (الدياربكري) كتاباً باسم (تاريخ دير الزعفران) وكان المؤلف حياً سنة ١٧١٧م. وفي ١٩٠٧ زاره كونراد وكتب له وصفاً قيسماً في كتابه (اللباني الأثرية في شمال بلاد الرافدين، ص ٦٩، ٧٣).

(٢٣) كان دير قرتمين الذي كان كان يضم في وقت ما (٨٠٠) من النساك، يعود إلى تاريخ قديم، ثم أعاد بناءه الملك البيزنطي أنسطاس على طراز جميل. فأرسل سنة (٥١٢ م) المهندسين (تيودا) و(تيودوس) والنحاتين والمعماريين المهرة لبنائه. وأرسل معهم الكثير من الذهب كما أرسل معهم صاغة للذهب والفضة والنحاس والحداين والرسامين =



دير عمر

وكانت مدرسته مهمة. تم تشييد الدير في سنة (١٠١٨م) في عهد نصرالدولة من قبل المار شمعون، الذي أصبح أسقف الرها للكنيسة الأرثوذكسية في نصيبين من أموال دير قرقميين (٢٤). وكان دير عمر (عمر - عهـ) المشيد في القرن الرابع الميلادي والواقع شرق مدينة مديات في طورعبدین بمسافة حوالي (١٨) كلم، من الأديرة الشهيرة أيضاً (٢٥). وفي عهد الدولة الدوستكية إنتقلت الكنيسة اليعقوبية (السرانية الغربية) (٢٦) من أنطاكية الى مدينة آمد (ديار بكر). ونقلها البطريرك

=ومشاطي الرخام والخبراء في عمل الفسيفساء. فشييد هؤلاء ديراً وزينوه بالزخارف والرسوم الحيوانية والادمية منها وجوه الأسد والثور والنسر ورسوم آدمية. وفرشت أرض المذبح بالرخام الأسود والأبيض والأحمر والأخضر والأرجواني والأزرق. وصنعت فيه شجرتان من نحاس وبولغ في وصفهما. وظل هذا الدير سالماً الى أن أتلف التتر روائعه. وكان قد تعرض الدير الى النهب من قبل السلاجقة سابقاً. وفي سنة (١١٠٠ م) اي بعد العهد الدوستكي بأربع عشرة سنة (راجع التفاصيل في أفرام برصوم، تاريخ طورعبدین، ص ٢١٩٣، ٢٧٥. واللؤلؤ المنشور، ص ٢٢، ٢٧١. نقلاً عن التاريخ الكنسي لابن العبري، أن الدير شييد في السنة الأولى من حكم الأمبراطور أركاديوس.

(٢٤) أفرام برصوم، تاريخ طورعبدین، ص ٢٦٧.

(٢٥) ألف حنا دو لاپونو مطران ماردين المتوفي سنة ١٩٦٩ كتاباً خاصاً بتاريخ هذا الدير بعنوان (تاريخ دير عمر) ترجمه الى التركية مار جبرائيل، وطبع طبعة ثانية بإستنبول سنة ١٩٧١. وأشكر صديقي الحوري (إبراهيم القصاب) من مديات على تزويدي بنسخة منه. كما زودني بمعلومات قيمة عن النقاشين والبنائين المهرة لمديات. لقد ألف بسبيلوس چاتليك شمعون من رهبان دير عمر كتاباً في الفولكلور الكردي بعنوان (لافتز)، وذلك في النصف الأول من القرن الثامن عشر. ولعله أول كتاب من نوعه. وقد قُتل الراهب بسبيلوس من قبل المجرم عبدال آغا سنة (١٧٤٠م)، ودفن في كنيسة (باسيرينا). راجع ترجمة حياته في (تاريخ دير عمر، ص ١١٣-١١٤).

(٢٦) اليعقوبية منسوبة الى المذهب اليعقوبي القائل بأن للمسيح طبيعة واحدة جمعت بين اللاهوت والناسوت إمتزج فيه عنصر الإله وعنصر الإنسان. وكانت كنيسة القسطنطينية الرومية تعتقد أن للمسيح أقنوماً واحداً وطبيعتين، أي إن المسيح هو ابن الله وله طبيعة ألوهية مساوية لله وطبيعة إنسانية مساوية للإنسان، وأن مريم هي أم الله. ومؤسس المذهب اليعقوبي هو ديسقورس بطريرك الإسكندرية في القرن الخامس الميلادي، ولكن يعقوب البرادعي هو الذي وطد أركانه في القرن السادس، ولذا ينسب إليه. وقد إنتشر المذهب المذكور في كُردستان وأرمينية وسوريا ومصر.

ديونيسيوس بسبب إنشقاق في الكنيسة، أو بسبب إضطهاد الإمبراطور البيزنطي لليعاقبة وإصداره أمراً بالقبض على البطريك. وهكذا أصبحت مدينة ديار بكر مقراً لكروسي البطريك اليعقوبي.

### مجمع الجزيرة

بعد وفاة البطريك ديونيسيوس سنة (١٠٤٢م) أو بسنتين بعدها، حدث خلاف بين اليعاقبة الغربيين والشرقيين. وذلك لأن اليعاقبة الغربيين عينوا مكان البطريك المذكور يوحنا تاودوروس دون أن يأخذوا موافقة بسليوس مفران (رتبة دينية تلي البطريكية) المشرق والأساقفة الشرقيين. فإستاء من ذلك الشرقيون واجتمعوا في مدينة الجزيرة ليحدثوا إنشقاقاً. ولكن البطريك لما سمع بذلك جمع الأساقفة الغربيين وتوجه الى الجزيرة للتفاهم. فعقد المجمع في الجزيرة مجمعاً عاماً وتصلح الطرفان وكتبوا قرارات مجمعية بضمنها وجوب إستشارة البطريك بالمفران، وإعطاء الشرقيين مناطق نصيبين وقلت ودارا. وكتبوا ثلاث سجلات مجمعية حفظت نسخها في الجزيرة ودير قرتمين وتكريت.

وبعد وفاة البطريك في مقره بديار بكر سنة (١٠٥٧م)، عين أثناسيوس (حياً) خلفاً له، ولكن الأساقفة الشرقيين وبعض من الأساقفة الغربيين لم يرضوا بتعيينه. فجاء المفران الى مدينة ديار بكر وعين مع الأساقفة (يوحنا بن شوشان) (إيشوعيب) بطريكاً، لذلك حدث إنشقاق في الكنيسة. وفي ملاطية ألقى القبض على أثناسيوس بأمر من الإمبراطور البيزنطي، وتوفي في الطريق الى القسطنطينية. فعاد ابن شوشان الى كروسي البطريكية وكان قد إنعزل الى حران. وفي سنة (١٠٧٤م) أصبح بسليوس بطريكاً خلفاً لابن شوشان، وتوفي بعد سنة ودفن في كنيسة اليعاقبة في فارقين. ثم عين ديونيسيوس الخامس بطريكاً وتوفي سنة ١٠٧٨م (٢٧).

لقد تمتع المسيحيون في هذه الدولة بسبب سياستها الديمقراطية تجاههم بحرية تامة لم يتمتعوا بمثلاها في العهود اللاحقة قاطبة. لقد نشط المسيحيون ودخلوا في وظائف الدولة المختلفة حتى الوزارة، حيث أصبح أبو سالم وزيراً للأمير منصور، وأصبح ابن شليطا مديراً للأوقاف في عهد الأمير بن أبي علي ومهد الدولة، كما أصبح أبو الحكيم الحديشي عارض الجيش وهي وظيفة عسكرية مهمة.

لقد خدم المسيحيون الدولة الدوستكية خدمات جليلة وبإخلاص، ومثال ذلك إخلاص الوزير أبي سالم، الذي صمد وكانت في يده القيادة في وجه القوات السلجوقية سنتين. أما خدماتهم في حقل الطب، فكانت كبيرة. فالأطباء المسيحيون كانوا يسيطرون على الطب في كردستان كما سيأتي ذلك بالتفصيل في موضوع الطب.

لاشك أن المسيحيين ينالون حرية عظيمة في عهد أمير عادل كعهد الأمير نصرالدولة، الذي إمتد

(٢٧) راجع تاريخ الرهاوي المجهول، ص ١١٨. أفرام برصوم، اللؤلؤ المنشور، ص ٣٦٧. بطرس نصري، الذخيرة، ج ١، ص ٤٧١-٤٧٧. أ. س. ترتون، أهل الذمة في الإسلام، ص ٨٨. طه الهاشمي، مفصل جغرافية العراق، ص ١٠٥. راجع أيضاً ترجمة حياة ابن شوشان في موضوع الحياة الثقافية.

لإثنتين وخمسين سنة. وعلى قول الفارقي لم يأخذ هذا الأمير درهماً واحداً من أبناء شعبه سواء المسلمين منهم أم المسيحيين (٢٨). وقد وصف المؤرخون المذكور بأن سيرته في رعيته وشعبه كانت أحسن سيرة (٢٩).

وقد زالت حرية وسعادة المسيحيين بعد سقوط الدولة الدوستكية وأثناء الحكم السلجوقي، حتى هدم ابن جهير البيعة المدورة القريبة من باب الريض في فارقين، على ما قاله الفارقي في (ص ٢١٤). كما أن أبا علي البلخي الذي تولى بعد ابن جهير إقليم دياربكر من قبل الدولة السلجوقية حول (دير عباد) المشرف على فارقين الى مسجد سماه بمسجد الفتح. وقال حينما سمع ذات صباح صوت ناقوس آت من هذا الدير: "يضرب في بلاد المسلمين على رؤوسهم الناقوس، فإذا نحن بالقسطنطينية" (٣٠)، فحوكه الى مسجد. ودفع له المسيحيون خمسين ألف دينار كي يعدل عن قراره فرفض. وكانت لهذا الدير أوقاف حولها الى أوقاف للمسجد. كما أوقف عليه أراضي قرية (باروما) أو ياروما. وكان هذا المسجد باقياً الى عهد الفارقي. وقد ذكر الفارقي أيضاً أن فخرالدولة ابن جهير بعد إحتلال فارقين، حوّل (دير عباد) الى مسجد، ولكن المسيحيين من أهل ميفارقين دفعوا له "ثلاثين ألف دينار أرمانيوسية فأعاده ديراً"، أي عدل عن قراره بعد أخذ المبلغ.

ويظهر من كلام الفارقي بأن حرية المسيحيين الدينية قد أزيلت أثناء الإحتلال السلجوقي لكرديستان الوسطى حتى منعوا من ضرب الناقوس، خاصة في عهد الوالي أبي علي البلخي. وكان السلاجقة يضطهدون المسيحيين ويسومونهم سوء العذاب. فعندما أغار السلطان طغرل سنة ٤٤٩ هـ = ١٠٥٧ م) على البلاد الجنوبية للدولة الدوستكية وحاصر مدينة الجزيرة، سار جماعة من جيشه "الى دير (عمر أكنن) وفيه أربعمئة راهب، فذبحوا منهم مائة وعشرين وإفتدى الباقون أنفسهم بستة مكايك ذهباً وفضة" (٣١). وسبق أن ذكرنا أن هذا الدير هو (ديرا كه مونت) أي دير كمون، وإكتشفه المرحوم الملا خلف البافه يي فقيده التراث الكردي.

## الزردشتية

كان زردشت ابن (پورو شسپ) وأمه (دغدو - دغدودا) بنت فراهيم من الميديين، ولم يحدد عصره تماماً. فبينما تحدده الروايات التاريخية بصورة عامة بالقرن السابع قبل الميلاد، يرى بعض الباحثين أنه عاش في أواخر الألف الثاني قبل الميلاد. وأما ما قيل من أنه كان قبل ستة أو سبعة آلاف سنة

(٢٨) الفارقي، ص ١٦٨. وراجع أيضاً ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ١، ص ٥٧. وقد إستثنى الفارقي من ذلك مصادره للتاجر ابن جرى كما نستثنى مصادره لابن بغل.

(٢٩) ابن الأثير، الكامل، ج ٩، ص ٢٦. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج ٣، ص ٢٩. أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر، ج ٢، ص ١٨٩. ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٢، ص ٨٧.

(٣٠) الفارقي، ص ٢٢٢. ومخطوطة الأعلام الخطيرة، ورقة ٧١ نسخة مصورة في مكتبتي.

(٣١) ابن الأثير الكامل، ج ٩، ص ٢١١ (حوادث السنة المذكورة) ظن بعض المؤرخين أن الحادثة وقعت في دير أحوشا والصحيح ما قاله ابن الأثير.

فغير صحيح مطلقاً. وأما المنطقة التي ولد فيها، فهناك روايات تاريخية إسلامية تفيد بأنه ولد في (أورميه) (١) من كردستان التابعة لإيران. ويرى بعض الباحثين أنه ولد في منطقة تقع شرق إيران وحدود خوارزم، وذلك إستناداً إلى ما جاء في آبستا، من أنه ولد في (إيريهن ويج) (Airyan - Vaeja)، حيث حدد (إيريهن ويج) بتلك المنطقة (٢).

أما المؤلف الكردي محمد أمين هورامي، فقد شرح بالتفصيل معنى (إيريهن فاج) وخلصه أنه بمعنى اللغة الآرية أو المتكلمين بالآرية، وأن لفظ فاج أصبح في الكردية (فاژ، واژ، بيژ و ماچۆ) بمعنى القول والتكلم. وإن الكتب الكردية المدونة بلهجة گوران مثل (سرنجام) وهي كتب دينية ل(مذهب أهل الحق) تُعرف بكونها ألفت بلهجة (ماچۆ) الكردية. كما إن الكردي يطلقون اسم (ماچۆ) على الكردي الهوراميين بسبب تكلمهم بلهجة ماچۆ (گۆزان). وحدد ل(إيريهن ويج) بالمناطق الكردية الواقعة في غرب أو شمال غرب إيران، والتي هاجر إليها الميديون. والتفاصيل في كتابه (فهرهنگی ئيريهن فاج) أي قاموس إيرين ويج.

بعد أن أضطهد زردشت في موطنه بسبب إعلانه الدين الجديد، هاجر إلى إقليم (باختر) أي خراسان. ولجأ إلى ملكها ويشتاسپ، فأمن بدينه هو ووزيره جاماسپ. وتزوج الأخير ب(پوروچيستا) ابنة زردشت. وانتشر دينه هناك وقتل في حرب دينية.

لقد كانت للآريين قبل ظهور زردشت ديانتين رئيسيتين الأولى (مزدیسنا)، أي عبادة الإله العاقل العارف، وهو إله الخير والنور. وكانت هذه الديانة منتشرة بين الحضرة والفلاحين. والثانية ديانة (ديويسنا) أي عبادة الديو إله الشر وهو (أهرمين - إبليس)، وكانت القبائل المحاربة غير المستقرة وغير المتحضرة تعتنق هذه الديانة. فجاء زردشت نبياً لدين (مزدیسنا) وأبطل عبادة الآلهة الآرية الكثيرة غير عبادة الإله الواحد (مزدا - أهورا مزدا). فكان موحداً وحرماً ذبح الحيوان للقربان الديني وحرماً حرق جثث الموتى. وكانت الآبستا مكونة من مليوني بيت من الشعر في غاية البلاغة، ولكن وقع فيها تحريف للمرة الأولى في العهد الأشكاني ومرتين في العهد الساساني. حيث أدخلت فيها الآلهة الآرية القديمة وحوادث تاريخية وقسم غير قليل من التاريخ الجغرافي. هذا وساندت الدولة الميديّة الديانة الزردشتية وعملت على نشرها وحاربت ديانة (ديويسنا). لقد إنتشرت الزردشتية في البلاد

(١) في دائرة المعارف الإسلامية نقلاً عن البلاذري وابن خرداذبه: أنه ولد في أورميه. وفي الملل والنحل، ص ٢١٦-٢١٧ قال الشهرستاني أن والد زردشت من أذربيجان وأمه من الري (التي تمثلها حالياً طهران). وأضاف بأن المجوس يقولون إن الله جعل روح زردشت في شجرة في أعلى عليين غرسها في قمة جبل (باسمو بذخر) في أذربيجان. وذكر أنه جاء إلى مدينة دينور (الكردية). أما الباحثون فيقولون بأن مكان ولادته غير معلوم أكان في ميديا الشرقية التي تقع فيها مدينة (رغه - ري) أو ما وراءها من خراسان (باختر) أو خوارزم؟ ويقول بعضهم أن نسبته إلى (أورميه) نشأت من كثرة الإهتمام بالزردشتية فيها في العهد الأخير. راجع هاشم رضا، أوستا، ص ٥٠-٥٢. وكريستنسن، إيران في عهد الساسانيين، ص ١٩-٢٠. وقد تحدث لي عدد من الكرد الذين زاروا في السنوات الماضية الزردشتيين في (بزد)، أنهم يقولون بأن زردشت كان من أورميه وأن نبينا كان كوردياً.

(٢) راجع هاشم رضا، أوستا، ص ٢٣.

الميدية أي كردستان، وكان الشعب الكردي بصورة عامة زردشتياً، بينما بقيت قلة منهم تدين بالوثنية وديويسنا حتى بعد ظهور الإسلام. أما إعتناق قسم كبير من الكرد للديانة المسيحية، فقد أوضحناه. وفي عهد الدولة الدوستكية، كان بعض الكرد لا يزالون على الديانة الزردشتية في هذا الجزء من البلاد الكردية. ولم يزل يحتفظ بهذه الديانة بعد عدة قرون من ظهور الإسلام.

ويُستدل على وجود الديانة الزردشتية في الدولة الدوستكية بكلام الرحالة الفارسي المشهور ناصر خسرو، الذي وجد الزردشتيين (البرسيين) أثناء مروره بالبلاد الدوستكية، وإطلع على سعر العنب الذي كانوا يبيعونه في مدينة (أرزن - غرزان) في الخريف. وقد شاهدهم ناصر خسرو في هذه المدينة الواقعة في قلب البلاد الكردية، والتي وصل إليها في الثامن والعشرين من تشرين الثاني سنة (٤٦٠م) (٣).

فقد ذكر وهو قادم من بدليس: "ثم سرنا الى مدينة أرزن وهي مدينة عامرة جميلة فيها أنهار جارية ويساتين وأشجار وأسواق جميلة وبيع البرسيون هناك مائتي مَنٍ عنباً بدينار واحد في شهري نوفمبر وديسمبر ويسمون هذا العنب رز أرماتوس" (٤).

إن لفظ "البرسيون" نص على إن قسماً من سكان أرزن أو أطرافها كانوا زردشتيين، لأن لفظ البرسي أو البرسيين كان يطلق على أتباع الديانة الزردشتية. وهذا الإسم ما زال حياً في إيران والهند. ولكي يطمئن القاريء الى صحة ذلك أحيله الى تعليق المترجم الدكتور يحيى الخشاب حيث قال: "البرسيون هم الفرس الذين حافظوا على دين زردشت ولم يسلموا بعد الفتح الإسلامي" (٥).

كما أحيله الى كتاب (فجر الإسلام) حيث ورد فيه البرسيون أكثر من مرة إسماً للزردشتيين. فمثلاً قال المؤلف بصدد الديانة الزردشتية: ويقول البرسيون أن الآقسنا كانت في عهد الدولة الساسانية مؤلفة من إحدى وعشرين سورة (٦).

وتكرر ذكر الكلمة أيضاً في كتاب (الفنديداد)، ففيه أن الفرس الزردشتيين في الهند يقال لهم البارسيون (البارسي) (٧).

(٣) قطع ناصر خسرو المسافة بين فارقين وخلط في ستة أيام. فقد خرج من خلط في عشرين من جمادى الأولى سنة ٤٣٨هـ المصادف ٢٤ تشرين الثاني، ووصل فارقين في ٢٦ جمادى الأولى أي في ٣٠ تشرين الثاني. فكان في أرزن في ٢٩ تشرين الثاني، فوصله إليها في اليوم الذي سبقه على أغلب الاحتمالات ومغادرته في ٢٩ منه. ومن الجدير بالذكر أنه وردت هنا في سفرنامه الترجمة العربية أخطاء في أرقام تاريخية. ففيه قيل أنه دخل فارقين في ٢٦ جمادى الأولى سنة ٣٣٨ أي ٢٣ تشرين الثاني ١٠٣٦م والصحيح هكذا: ٤٣٨هـ = ٣٠ تشرين الثاني ١٠٤٦م، ولم أفطن الى هذه الأخطاء سابقاً، إذ أدرجتها في الجزء الأول في موضوع تحديد سنة مقتل مهدي الدولة، فأعود لأنبه القاريء الى هذا.

(٤) ناصر خسرو، سفرنامه، ص ٤٠.

(٥) نفس المصدر والصفحة.

(٦) أحمد أمين، فجر الإسلام، ص ١٢٤ وتكرر نفس اللفظ في ص ١٤٠.

(٧) كتاب الفنديداد، ص ٣ و ١٣، ترجمة الدكتور داود الجلبي من الفرنسية.

وفيه أيضاً يقال لهم الفرسيون وكذلك قال أحمد أمين (٨).

فلفظ برسي أو بارسي أو فرسي يطلق في وقتنا هذا على الزردشتي، سواء كان من القومية الفارسية أو من قومية أخرى. هذا مع العلم بأن قوميات متعددة قد إعتنقت الديانة الزردشتية. فتحديد الدكتور يحيى الخشاب لفظ "البرسيون" الوارد في كلام ناصر خسرو المذكور، بالفرس الذين حافظوا على دين زردشت، هو في غير محله. فهناك برسيون فرس وبرسيون هنود وبرسيون كُرد... فالزردشتيون الذين شاهدتهم ناصر خسرو في غرزان كانوا دون شك كُرداً ولم يكونوا فرساً.

ورغم خضوع الكُرد للفتح الإسلامي سلماً أو حرباً، لم ينتشر الإسلام بينهم دفعة واحدة، وإنما بالتدريج. فظل قسم منهم على الديانة المسيحية حتى الآن، بينما بقي قسم آخر على الديانة الزردشتية حتى العهد الدوستكي في البلاد التي كانت تحت سيطرتها، ويحتمل بقاؤها في جبال هورامان الواقعة في شرقي سهل شهرزور الى القرن الثاني عشر الميلادي (٩).

(٨) أحمد أمين، فجر الإسلام، ص ١٢٨.

(٩) نشر الأستاذ الملا عبدالكريم المدرس في كتابه (بنه مالهى زانباران، ص ٣٥٨ - ٣٧٩) شجرة لسادات قرية (سرگت - سرگهت): أسرة ملا جلال الخرمالي في شهرزور، وهي فارسية وعربية تشتمل على معلومات من تاريخ الأسرة. والنسخة التي نشرها كانت بخط المرحوم الملا محمود بن عبدالرحمن السرگتي كتبها عندما أراد بيع نسخة من القرآن الكريم كان مكتوباً في أواخرها. وقد باعها لمكتبة المؤسسة العامة للآثار في بغداد بتاريخ (١٩٧٥/٨/٢٥) وهي تحت رقم (١٦٤٢٥) في المكتبة المذكورة حسبما كتب في نهاية نسخة الشجرة. وقال أن جده محمد بن مصطفى بن الملا جلال كتبها في المصحف سنة (١٢٩٠هـ = ١٨٧٣ - ١٨٧٤م). وما في الشجرة عبارة عن معلومات كتبها جد الأسرة إبراهيم بن عباس الحسيني سنة (٥٤٥هـ = ١١٥٠ - ١١٥١م) على مصحف بخطه ثم نقلها واحد من أحفاده سنة (٧٧٠هـ). أما القسم الآخر من المعلومات التي في الشجرة، فقد كتبها محمد السرگتي من المعلومات التي وجدها بخط أجداد له ومن معلوماته الشخصية.

جاء في القسم المنسوب الى إبراهيم الحسيني: أنه قدم من قرية (خدر آباد) من منطقة شهریان الى شهرزور ومنها سافر الى قرية أورمان (أي بلدة هورامان مركز منطقة هورامان الجبلية الواقعة في شرق سهل شهرزور) لتحصيل العلم عند مدرسها السيد مصطفى العريض. وكان رئيس هورامان (شاليار سياه) المجوسي. وقال إن الديانة الإسلامية تتعزز فيما لو أسلم المذكور. (ما زال إسم پير شالياري ردهش) حياً حتى اليوم وقد أسلم فيما بعد. وكلامه هذا دليل على قوة الزردشتية آنذاك في منطقة هورامان الوعرة. وفي هذا القسم والقسم الآخر معلومات تاريخية. ومن حيث أن الشجرة تحتاج الى دراسة دقيقة تثبت صحة ما نُسب الى الحسيني كله أو بعضه. طلبت من صديقي المحب للعلم والشغوف بالإطلاع على المخطوطات والمصادر المرحوم جمال مفتي (جمال بن محمد بن الملا عزيز المفتي) الذي توفي في (١٩٩٦/١١/١٠) في السلمانية، طلبت منه أن يصور لي ما هو مكتوب على تلك النسخة من المصحف. فصور لي الصفحة الأولى فقط، التي كُتبت عليها ما هو خاص بالحسيني. وعندما قابلته بالنسخة التي هي بخط المرحوم الملا محمود من الشجرة، والتي تكرر فيها هذا القسم أيضاً. إتضح لي أنه كُتبت حديثاً ومنقول (مع إختصارات) مما في الشجرة وليس قديماً. وذلك إستناداً الى الخط وإملاء بعض الأسماء مثل (خدرآباد) و(سرگرد) و(گورانية) بالكاف (G) الكُردية وتعابير عربية حديثة. وفي الشجرة أخطاء وتناقضات شتى، مثل المدة (٢٢٥) سنة بين وفاة الحسيني سنة (٥٤٥هـ) وسنة إستنساخ المذكرات سنة (٧٧٠هـ) من منصور صادق بن بلال أو منصور بن صادق (الإبن) بن صادق (الأب) بن بلال بن إبراهيم الحسيني. فهي طويلة جداً بالنسبة لثلاثة أو أربعة أجيال وهو ما يثير الشك. أما ما ورد في الشجرة من أن نسخة المصحف هذه بخط الحسيني فغير صحيح بالنظر الى رسم خطها.

وقد نشر الأستاذ الملا عبدالكريم الشجرة بكل هذه الأخطاء دون أن يشير إليها مع حذف عبارات منها. وكذلك نشرها محمود أحمد محمد في مجلة (كاروان، العدد ٢٦، أيلول ١٩٨٥)، وأضاف إليها محمود أخطاء كثيرة. ففيما نشره أكثر من أربعين خطأً. وأخيراً لا يمكن دراسة ونقد مذكرات الحسيني والشجرة بصورة كاملة إلا بعد الحصول على نسخة مصورة مما هو مكتوب في آخر المصحف.

في الطبعة الأولى قلت أن أولئك الزردشتيين الذين شاهدتهم ناصر خسرو هم الإيزيديون، أي بعد إسلامهم على يد الشيخ عدي بن مسافر ثم إنحرفهم عن الإسلام، وذلك لأن العديد من الذين ألفوا أو كتبوا عن العقيدة الإيزيدية إعتقدوا أن الكُرد الإيزيديين كانوا زردشتيين ثم أسلموا على الشيخ عدي بن مسافر (١٠)، ومن هؤلاء صديق الدمولوجي مؤلف أضخم وأهم كتاب عن الإيزيديين وعبدالرزاق الحسني. بينما إعتقد أستاذي سعيد الديوه جي الذي ألف في الموضوع أيضاً، أنهم كانوا مسلمين من أنصار الأمويين إنحرفوا عن الإسلام. وهناك آراء أخرى (١١).

أما أنا فكنت أعتقد حتى السبعينات بأنهم كانوا زردشتية ثم تغير رأيي في السنوات الأخيرة، أي بعد إهتمامي بالزردشتية وإكتشافي لعشرات المعابد الخاصة بها. ولهذا فإني أرى الآن أنهم كانوا (دبو يسنيين).

(١٠) ولد عدي بن مسافر في قرية بيت فار من منطقة (شوف الأكراد) من سهل البقاع. أي أنه كان من منطقة يقطنها الكُرد. وهناك رواية أيزيدية تدعي أنه لما جاء إلى المنطقة كان يتكلم مع الناس بالكردية. فلم يكن الكُرد لذلك غريبين عن الشيخ عدي الذي توجه إلى جبال هكاري (أي بهدينان) وإختار البقاء بين الكُرد وإستقر هذا المتصوف في قرية (لالش) وإلتف حوله آلاف الكُرد وإنتشرت الطريقة العدوية الصوفية المنسوبة إليه في كردستان. ومع هذا فهناك رواية أخرى تقول بأن الشيخ عدي كان كوردي الأصل، وإني لا أستبعد ذلك لكونه نشأ في (شوف الأكراد)، أي بين الكُرد هناك. وقد نُقل عن ابن المستوفي قوله، نقلاً عن لسان الشيخ حسن بن عدي (الثاني) بن أبي البركات، (أن عم جده) الشيخ عدياً "ولد في بلاد الشام في موضع يعرف بشوف الأكراد بالشين المعجمة والفاء من ضبعة تسمى بيت فار"، راجع ج ١، ص ١١٦ من تاريخ إربل لإبن المستوفي، وفي ج ٢، ص ١٧٠ قال ناشره الباحث سامي السيد خماس الصقار، أن بيت فار من أعمال بعلبك نقلاً عن ابن خلكان. ونقل أيضاً عن ابن كثير أنها تقع في البقاع غربي دمشق. علماً أن بعلبك تقع في لبنان. وقال الحسني في (اليزيديون، ص ٢١) وأنها تسمى الآن (أنافار) وهي خربة تقع بين مشغرة وكتب الباس في البقاع الغربي وبها قبر الشيخ مسافر. أما وفاة الشيخ عدي، فالأرجح أنه توفي في سنة (٥٥٧هـ = ١١٦١-١١٦٢م)، وقد روي ذلك عن أبي البركات في سنة (٥٥٥هـ)، التي قالها الشيخ أحمد لابن المستوفي، كما رجح أستاذي الديوه جي وآخرون غيره التاريخ الثاني على الأول.

(١١) راجع صديق الدمولوجي، اليزيدية، ص ١٧٣. وعبدالرزاق الحسني، اليزيديون، ص ١٤. والديوه جي، اليزيدية، ص ٢٤-٢٥ وغيرهم.